واليونانية ـ كلفة علم ضرورية للاحاطة بالعلـــوم العالية ، كما انها تركت فى اللغات الاوربية عددا غير قليل من الاصطلاحات العلمية ، التى لا تزال مستعملة فيها حتى الان ·

فلماذا لا تتمكن من النهوض مرة ثانية والتكيف بمقتضيات العصور الحاضرة ، كما كانت تكيفت من قبل تكيفا تاما بمقتضيات العصور الغابرة ؟

لا شك انها ان احست اليوم عاجزة وقصيرة ـ بعد ان كانت بالامس غنية وقديرة ـ فما ذلك الا لان المتكلمين بها قد انقطعوا عن مزاولة العلوم منذ قرون ، ولانهم حبسوا اذهانهم فى دائرة ضيقة من الادبيات والشرعيات ، منصرفين اليها عن كل ما سواها · وكانى باللغة العربية قد ظلت داخل هذه « الشرنقة المعنوية » جامدة خامدة ، لا تتحول ولا تتكيف ، ولا تنمو ولا تتطور ·

ان المصطلحات وليدة الاحتياجات ، فانها لا تتكون الا عندما يشعر الناس بالحاجة اليها ، ولا يشعر احد بالحاجة اليها الا عندما يفكر بمدلولاتها ، فيضطر الى البحث عنها فى احاديثه او كتاباته · ولهذا السبب عندما انقطع الناطقون بالضاد عن التفكير فى مواضيع العلوم توقف نمو اللغة ونشوء الاصطلاحات بطبيعة الحال · واما عندما اخذنا نلتفت الى العلوم الحديثة فقد صرنا ندرسها وندرسها باللغات الاجنبية، فلم نعرب منها الا مبادئها · ويمكننا ان نقول ان عمر الدراسة الثانوية فى البلاد العربية لم يتجاوز ربع القرن (1) ، اما الدراسة العالية فهى لا تزال فى حالة الجنين ، فلا غرابة والحالة هذه اذا ظلت العربية فقيرة من وجهة الاصطلاحات العلمية ·

اما وقد بدات منذ مدة تباشير النهضة الفكرية وزاد عدد الذين يدرسون ويدرسون ويكتبون فى المواضيع العلمية فقد اخذ « الشعور بالحاجة الى الاصطلاحات » يتقوى من يوم الى يوم ، وصار المفكرون والكتاب يقدمون على استحداث الاصطلاحات ونحن لا نشك فى ان هذه الحركة العلمية ستجعل اللغة العربية غنية بالاصطلاحات التى تحتاج اليها فى امد غير طويل ·

الا ان هذه الحركة لم تجد الى الآن حظا كافيا من «الاهتمام التنظيمى» لذلك صرنا نرى تبلبلا فى المصطلحات المستعملة من قبل الكتاب المختلفين ، وخلافا بينا فى امرها ليس بين الاقطار العربية فحسب بل بين الكتاب الذين يعملون ويكتبون فى القطر الواحد ايضا ·

اننا نرى هذه الاختلافات طبيعية نوعا ما ، ولا نجد فيها ما يستوجب قلقا كبيرا ، لاننا لا نشك فى ان هذه الكلمات المختلفة ستتغربل وتتصفى ، وسيبقى فى ساحة الاستعمال اوفقها واصلحها . ولذلك نحن لا نخشى تعدد الآراء والاقتراحات والاستعمالات ، بل نعتقد انها لا تخلو من بعض الفوائد ، لانها تفسح مجالا اوسع « للاصطفاء الارتقائى » بحكم قانون « بقاء الاصلح » فلا مجال للتخوف اذن من شىء ما خلا الركود والجمود · فالحركة الحقيقية والمستمرة ستؤول حتما الى توليد احسن الاصطلاحات وتعميمها . كلنا يعلم ان كلمة (تلفون) الافرنجية تغلبت على الكلمات العربية التى اقترحها بعض اللغويين فى حين ان كلمة (طيارة) العربية تغلبت على الكلمات الافرنجية التى استعملها بعض الكتاب فى باديء الامر · فالخلاف حول هذه الكلمات لم يستمر طويلا ، لان الحاجة الى استعمال مدلولاتها قضبت على المناقشة النظرية سريعا · وكذلك تعبيرات « اللامركزية » و « الدستورية » و « الانتداب » تعممت بسرعة كبيرة عندما اخذت التطورات السياسية تدخل مدلولاتها فى اذهان الناس وتضطرهم الى البحث عنها ، وذلك بدون ان يبقى مجال طويل للمناقشات النظرية حولها وبدون ان تحدث بلبلة من جرائها ·

فاذا ما بقينا الى الآن محرومين من معظم الاصطلاحات العلمية واذا ما رأينا بلبلة واضحة حول بعض تلك الاصطلاحات فما كل ذلك الا لان الحركة العلمية لا تزال فى حالة بدائية ، كما ان الصلات الادبية بين المفكرين والمعلمين الذين يشتغلون فى الاقطار العربية المختلفة لا تزال ضعيفة ، حتى ان وسائل التعارف والتعاون بين المشتغلين فى القطر الواحد ايضا لا تزال غير كافية ، ونحن لا نشك فى انه كلما اشتدت الحركة وتعممت ، وكلما ازدادت الصلات واستحكمت ، ازدادت المصطلحات الحديثة وتوحدت، فلا يبقى اثر للبلبلة التى نشاهدها الآن ·

---

(1) يلاحظ ان هذا البحث كان قد نشر عام 1928 ـ فى مجلة « التربية والتعليم » فى بغداد ·

اننا نقول ذلك لنبين انه ليس هناك ما يدعو الى التشاؤم . ولا نقصد من قولنا هذا انه ليس ثمة ما يستلزم العمل والجهود . بل اننا بعكس ذلك نعتقد انه قد حان وقت تنشيط العمل وتنظيم المساعي حول هذه المسائل ، وانه قد اصبح من الواجب علينا ان نتوسل بكل الوسائل الممكنة لتشجيع الحركة وتنظيمها :

ا) — بتداول الآراء بين المفكرين والمعلمين بمخابرات ومذاكرات خصوصية .

ب) — بفتح باب المناقشة والبحث في المجلات حول مسالة الاصطلاحات .

ج) — بعرض هذه المسائل على مؤتمرات تعقد من حين الى حين ،

د) — بايجاد هيئات مستديمة تشتغل بهذه الامور ، وتسعى لتنظيمها بصورة مستمرة (1) .

***

كنا الفنا لجنة اختصاصية رسمية النظر في امر الاصطلاحات العلمية في دمشق الشام سنة 1920 ، وكانت اللجنة اخذت على عاتقها ان تقرر في بادىء الامر الاصطلاحات العلمية المدرسية التي يحتاج اليها المعلمون في الدراسة الثانوية ، وان تنتقل بعد ذلك الى سائر الاصطلاحات ، وقد اختطت لنفسها خطة عمل تسير بموجبها في هذا الباب ، وقررت ان تنظم « نشيبة » Fiche خاصة لكل كلمة على حدة يدرج فيها : (ا) : منشا الكلمة واشتقاقها ، (ب) ما يقابلها في اللغات الاوربية الحية ، (ج) ما استعمل من الكلمات العربية مقابلها في الكتب المطبوعة في مصر وسورية وتركية ، (د) ما كان يستعمل مقابلها او في معان مقاربة لها في الكتب العربية القديمة ، (هـ) ما يوجد في القواميس من الكلمات الملائمة لمعناها .

فتختار اللجنة اوفق الكلمات ، بعد ملاحظة جميع المعلومات ، ثم تعرضها على كبار المشتغلين في اللغة والعلوم في البلاد العربية المختلفة ، وتعيد النظر في الامر بعد ورود الاجوبة ومناقشتها ، وتتخذ قرارها النهائي بعد هذه التدقيقات والمخابرات والمناقشات كلها .

وكانت اللجنة قد بدات في ترتيب «النشيبات» وجمع المعلومات ، الا انها تشتتت على اثر اندراس الحكومة العربية ، قبل ان تجد مجالا لانجاز عمل من الاعمال التي كانت تستهدفها .

***

وقد تالفت لجنة رسمية اخرى في مدينة السلام(2) سنة 1926 لتقرير الاصطلاحات العلمية ، الا انها الغيت لاسباب لا مجال لشرحها بعد مدة وجيزة قبل ان تنجز عملا ذا بال ، مع انها كانت قد وضعت « خطة علمية » لعملها ، و « اعتبرت المواد الآتية قواعد ودساتير تتبعها فيما تضعه وتقرره من المصطلحات العلمية والكلمات اللغوية » :

« 1 — ان الاشتقاق قياسي في اللغة قياسا مطلقا في اسماء المعاني التي هي عرضة لطروء التغير على معانيها ، ومقيد بمسيس الحاجة في الجوامد .

« 2 — ان وضع الكلمات الحديثة في اللغة يجري : اما على طريقة الاشتقاق واما على طريقة التعريب . ولا مانع من الجمع بينهما ، ويرجح النحت عند الحاجة .

« 3 — لا يذهب الى الاشتقاق في وضع كلمة حديثة الا اذا لم يعثر في اللغة على ما يؤدي معناها ، بخلاف التعريب فانه يجوز تعريب كلمة اعجمية مع وجود اسم لها في العربية كما هو الشان في كثير من المعربات الموجودة في اللغة .

« 4 — يشترط في الكلمات التي تختار من كتب اللغة ليعبر بها عما حدث وتجدد ان تكون مانوسة غير نافرة ، والا وجب تركها والذهاب الى طريقة الاشتقاق او التعريب .

---

(1) تحققت نبوءة الكاتب في هذه الفقرة بتاسيس مكتب تنسيق التعريب العمل على توحيد المصطلح العربي الذي تضعه المجامع العربية والجامعات وغيرها من المؤسسات والافراد ؛ كما تحققت الفقرة السابقة بالمؤتمرات اللغوية التي تعقدها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . واما بصدد الفقرة (ب) فخير مجال البحث والمناقشة هو مجلات المجامع والجامعات ؛ وهذه «اللسان العربي» .

(2) اللسان العربي : يقصد بغداد ، التي كان مديرا عاما للمعارف فيها عندئذ .

« 5 ــ يرجع الشائع المشهور من المولـــد والدخيل على الوحشي المهجور من الكلمات الـتي في المعاجم .

« 6 ــ لا يشترط في المعرب رده الى وزن مـن اوزان الكلمات العربية ، لكن يستحسن ذلـك ان امكن ، كما يستحسن تغييره بما يجعله قريـبا مـن اللهجة العربية » .

***

ولقد قبلنا هذه القواعد من حيث الاساس ، واخذنا نسير عليها في اختيار الاصطلاحات التي نضطر الى استعمالها .

مع هذا ، راينا من الضروري ان نضيف اليهـا القواعد والمباديء الآتية :

1 ــ ان بعض المصطلحات تبقى بطبيعتـها محدودة الاستعمال ، فلا يستعملها عادة الا طبقـة خاصة من الاختصاصيين . اما بعض المصطلحـات الاخرى فتكون مرشحة للانتشار، وذلك لانها ستستعمل حتما من قبل جميع افراد الطبقة المنورة ، وقد تدخل في لغة الشعر والادب ، وتنتشر بين جميع الناس .

فيجب علينا ان نلاحظ هذه النقطة الجوهرية ، عندما نحاول الترجيح بين الاشتقاق والتعريب . ففي القسم الاول من المصطلحات يمكننا ان نستعمـل الكلمات الاجنبية ، كما انه يجوز لنا ان نبقيها عـلى هيأتها الاصلية . اما القسم الثاني فمن الواجب ان نختار الكلمات العربية ما استطعنا الى ذلك سبيلا . واما اذا اضطررنـا الى استعمال كلمـة أجنبية فيجب ان نعربها تعريبا تاما وذلك بان نفرغها في قالب عربي يسهل به لفظها على الناطقين بالضاد .

ولا حاجة بنا الى البيان بان الاصطلاحـات العائدة الى البكتريولوجي ــ مثلا ــ تعتبر من القسم الاول ، او الاصطلاحات العائدة لعلم النفس فهي من القسم الثاني .

2 ــ ان من المصطلحات ما يكون جامدا مـن حيث المعنى فلا يحتاج الى مشتقات ، في حين ان منها ما يكون متصرفا من حيث المعنى فيحتاج الى عـدد قليل او كبير من المشتقات .

فيجب علينا ان نلاحظ هذه النقطة ايضا ، فلا نختار مقابل المصطلحات التي هي من الصنف الثاني الا ما يقبل التصريف . فعندما نبحث عن اصطـلاح من الاصطلاحات يجب ان نلاحظ مشتقاته المستعملة في اللغات الاجنبية لكيما نضع ما يقابلها جميعا صفة واحدة .

مثال ذلك اننا عندما نفكر في الكلمـة التـي سنصطلح عليها مقابل Objectif يجب ان نلاحظ في الوقت نفسه . ان علينا ان نشتق منها مـا يقابل كلمات :

(1) Objectivité, Objectivisme objectivation

وعندما نحاول ان نوجد كلمـة مقابـل Idéal يجب ان نفكر في الوقت نفسـه في مشتقاتها الضرورية مثل : Idéalisme, idéaliste

لذلك لا نعتقد بكفاية تعبير « المثل الاعلى » الذي صار يستعمل في هذا المعنى ، لان التعبير عاجز عـن توليد مشتقات تقابل كل المعاني(2) .

3 ــ ان بعض المصطلحات ذات علاقة شديدة بمصطلحات اخرى لدلالتها على معان متقاربة او متعاكسة . فيجب علينا ان نلاحظ جميع هذه المصطلحات مرة و احدة لكي نحصل على تناسب بينها من جهـة ولكي لا نخصص كلمة مقابل احدى المصطلحات ، في حين انها قد تكون اليق والزم للدلالة على غيرها مـن جهة اخرى .

مثال ذلك اننا عندما نبحث عـن اصطـلاح يقابل كلمة Automatique التي تدل عـلى نوع من انواع الحركات والافعال ، يجب علينا ان نلاحظ بقية الانواع ، ونفكر فيما يقابل كلا من كلمات:

Involontaire, spontané, Réflexe, instinctif, reflex

فقد راينا بعض الكتاب ترجموا كلمة بكلمة «لا ارادية» لانهم لم يلاحظـوا ان مدلول هذه الكلمة ما هو الا نوع من انواع الافـعـال الـ « لا

---

(1) صاروا يقولون الان : الشيء والشيئية والتشيؤ والتشييء ــ «اللسان العربي »

(2) صار يقال « المثالي والمثالية » ، مقابـل المصطلحين المذكورين اكتفاءا بالمثل ، مع حـذف «الاعلى» باعتباره معلوما ــ « اللسان العربي » .

ارادية » وان هناك كلمة involontaire التي تطابق اللاارادي كل المطابقة (1) .

4 — لم يتيسر للغة من لغات العالم ان تصل الى درجة الكمال المطلق من وجهة المصطلحات في جميع العلوم . لان غاية الكمال في اللغة هي ان يخصص لكل معنى كلمة معينة او تعبير معين ، وان لا يلتبس في الذهن معنيان من كلمة واحدة ، في حين انه لا يزال في كل اللغات كثير من الكلمات تدل على معان مختلفة ، حتى على معان متباعدة . فاذا كانت المصطلحات قد وصلت الى درجة الكمال في بعض العلوم — مثل الطبيعيات والرياضيات — فانها بعيدة عن هذه الدرجة في العلوم الاخرى — مثل النفسيات والاجتماعيات .

فعندما نحاول وضع اصطلاح مقابل كلمة واحدة ، لا ينبغي لنا أن نوجد كلمة تدل على جميع المعاني المفهومة من الكلمة الاصلية على اختلاف انواعها ، بل بعكس ذلك يجب علينا ان نوجد اصطلاحا خاصا مقابل كل معنى من تلك المعاني المختلفة على حدة .

مثل ذلك ان كلمة Sujet في الفرنسية تدل على سبعة معان مختلفة — (راجع قاموس الفلسفة الذي نشر تحت رعاية جمعية الفلسفة الفرنسية) — يقابلها في الالمانية ست كلمات وفي الانكليزية كلمتان . واذا حاولنا نحن أن نوجد كلمة واحدة مقابل جميع هذه المعاني المختلفة نكون قد كلفنا انفسنا مشقة عظمى بدون جدوى ، وذلك في سبيل تقليد احدى اللغات بجميع نواقصها تقليدا اعمى .

ان مقارنة الاصطلاحات التي تستعملها الامم المختلفة تدلنا على ما يجب عمله في مثل هذه الاحوال دلالة ثمينة ، فلذلك يجب علينا ان نلاحظ الاصطلاحات المستعملة في الافرنسية والالمانية والانكليزية ، قبل ان نقرر الاصطلاحات الملائمة للغتنا .

5 — أن الاصطلاحات من الامور الوضعية الاعتبارية . فالكلمات المصطلح عليها في المعاني العلمية ، لا تدل على تلك المعاني — من حيث اللغة — دلالة تامة ، الا في بعض الاحوال الاستثنائية . فلذلك ليس من الضروري ان نترجم الكلمة المصطلح عليها ترجمة حرفية ، بل من الاوفق ان نتحرى الكلمة التي بمكنها أن تدل على المعنى المطلوب على احسن الصور واوضحها .

ولما كان يتعسر علينا — في معظم الاحوال — أن نوجد كلمة عربية تدل على المعنى المطلوب دلالة تامة تحتم علينا ان نبحث عن اقرب الكلمات من المعنى المطلوب وان نخصصها به ، وان كان معناها اللغوي الاصلي اعم او اخص من هذا المعنى .

هذا ولا حاجة الى البيان ان الكلمات لا يمكن أن تخصص بمعان جديدة ، اذا كانت كثيرة الاستعمال في معانيها القديمة ، فيجب ان نختار الكلمات التي نود تخصيصها بمعان جديدة علمية ، من التي لا تستعمل كثيرا او ان نصوغها بصيغة لم تدرج عليها الا قليلا .

مثال ذلك ان كلمة Behaviour الانكليزية تستعمل في علم النفس بمعنى اصطلاحي لا ينطبق على معناها اللغوي كل الانطباق . فلا يجوز لنا ان نترجم هذا الاصطلاح بكلمة «سلوك» لان هذه الكلمة لا تدل على المعنى المقصود من جهة ولا يمكن ان تخصص بهذا المعنى لكثرة استعمالها في معنى آخر من جهة اخرى . فمن الاوفق أن نختار كلمة اقل شيوعا من كلمة السلوك فنقول مثلا « انتهاج » ولا حاجة الى الايضاح بانه لا يتعسر تخصيص هذه الكلمة بالمعنى المطلوب لعدم استعمالها — في هيأتها هذه — استعمالا دارجا .

6 — ان «قصر اللفظ وسهولته» من اهم الاوصاف التي يجب ان تتصف بها المصطلحات ، لا سيما اذا كانت مما سيتداول على الالسن تداولا كبيرا . فاذا نظرنا الى المصطلحات الافرنجية راينا معظمها قصيرة وسهلة التلفظ — كما اننا نرى بعضها آخذة في التطور نحو صيغ اقصر من ذي قبل . فقد صار الناس يقولون « سينما » مقام « سينماطوغراف » و « راديو » مقام « راديوفون » ، و« مترو » عوضا عن « متروبوليتان » . كما ان علماء الفلك صاروا يقولون parsec عوضا عن تعبير Paraflaxe-seconde أي «اختلاف المنظر — ثانية واحدة » .

فلا يجوز والحالة هذه ان نعتمد كثيرا على

(1) مقابل refle صاروا يستعملون الانعكاس — « اللسان العربي » .

التراكيب الاضافية الطويلة التي تتالف عادة من اسمين وحرف تعريف ، بل يتحتم علينا ان نهتم بامر « القصر والسهولة » اهتماما كبيرا ، وان نقدم على النحت والاختزال بمقياس واسع .

ونحن نعتقد ان «التوسع في النحت » اصبح من اهم حاجات اللغة العربية ، ونظن ايضا انه لا سبيل بدون شك الى اغنائها بما تحتاج اليه من الاصطلاحات العلمية المتنوعة الجديدة .

اننا لا نقصد من «النحت » تركيب الكلمات العربية من بعض الجذور الاعجمية — كما يقترحه بعض الكتاب — بل نقصد «النحت الاصولي » الذي ادخل في اللغة العربية عددا غير قليل من الكلمات والتعبيرات المختزلة مثل شقحطب ، وبسملة ، وولاشاة ، وجرمة — تلك الكلمات والتعبيرات المختصرة التي تفتقر العلوم الحديثة الى امثالها افتقارا شديدا .

(ب) — النحت

ان الوسائل التي يمكن الاستفادة منها لتكوين كلمات جديدة — بقصد الدلالة على معان جديدة — تتلخص في ثلاث طرق اصلية : الاشتقاق ، التعريف، النحت .

لا ريب في ان «الاشتقاق » هو اهم الوسائل الثلاث ، لانه « الافعولة » الاصلية التي كونت اللغة العربية ، فستبقى هذه الافعولة بطبيعة الحال اهم الافاعيل التي ستعمل على توسيعها . زد على ذلك ان عملية الاشتقاق تشمل الوسيلتين الاخريين ، اذ انها تتناول نتاج « التعريب والنحت » ايضا ، وتولد كلمات جديدة ، حتى من الكلمات «المعربة والمنحوتة» .

ومع هذا لا شك في ان الاشتقاق وحده لا يكفي لتوليد الكلمات التي يحتاج اليها التفكير البشري ، لان عمله مقصور على اوزان وقوالب معينة ، وهذه الاوزان والقوالب مهما كانت كثيرة وولودة لا تستطيع ان تستوعب جميع المعاني العقلية . فلابد من الاستعانة بالتراكيب ، والاقدام على تركيب كلمتين او اكثر على شكل تراكيب مزجية ووصفية واضافية ، وحتى على هيأة جمل فعلية .

فالنحت يتناول البعض من هذه التراكيب — التي تتردد كثيرا على اللسان — فيلصق اركانها ويجعلها كلمة واحدة ، تتصرف مثل الكلمات المفردة ، ثم يختصرها ويختزلها ، ويجعلها شبيهة بالمفردات .

ان علماء اللغة يعتقدون ان «النحت» قد ادى عملا مهما في تكوين اللغة ، فانه اوجد معظم الافعال الرباعية والخماسية ان لم نقل كلها ، كما انه اوجد عددا غير قليل من الحروف في ابان تكون اللغة العربية، وولد بعض المصطلحات المهمة في دور النهضة الفكرية الاولى . ونحن نعتقد باننا وصلنا الى دور اشتدت فيه حاجتنا الى الاستفادة من النحت اشتدادا كبيرا، ونظن ان هذه الافعولة اللغوية ستعود الى النشاط وتجود علينا بعدد كبير من المصطلحات التي نحتاج اليها في نهضتنا الفكرية الجديدة .

وبناء على ما ذكر سنشرع في ايراد اهم ما كتبه علماء اللغة عن النحت ، واهم الكلمات التي تولدت من النحت ، ثم نلحق بذلك بعض الاقتراحات حول كيفية الاستفادة من النحت في وضع الاصطلاحات العلمية الحديثة .

1 — النحت في الكتب القديمة

جاء في كتاب «الصاحبي» — في فقه اللغة وسنن العرب في كلامهم — تصنيف احمد بن فارس (من ائمة اللغة في القرن الرابع الهجري) ما ياتي :

« العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة ، وهو جنس من الاختصار ، وذلك كقولهم «رجل عبشمي» منسوب الى اسمين : وانشد «الخليل :

اقول لها ودمع العين جار الم تحزنك حيعلة المنادي؟

من قوله « حي على » . وهذا مذهبنا في ان الاشياء الزائدة على ثلاثة احرف اكثرها منحوت مثل قول العرب للرجل الشديد « ضبطر » من ضبط وضبر، وفي قولهم « صهصلق » انه من صهل وصلق ، وفي «الصلدم» من الصلد والصلد — وقد ذكرنا ذلك في كتاب « مقاييس اللغة » — (الصاحبي من 227)

وجاء في الكتاب نفسه بعض « تعليلات نحتية » عن بعض الحروف ، مثال ذلك :

« كأن — كلمة تشبيه : قال قوم هي « ان» دخلت عليها كاف التشبيه فخففت » . (ص 132) .

« لكن — قال قوم هي كلمة استدراك تتضمن ثلاثة معان : منها « لا » وهي نفي ، والكاف بعدها

مخاطبة ، والنون بعد الكاف بمنزلة «ان» الخفيفة او الثقيلة . الا ان الهمزة حذفت منها استثقالا ، لاجتماع ثلاثة معان في كلمة واحدة » (ص 141)

« ايان — بمعنى متى ، اي حين . قال بعض العلماء : نرى اصلها « اي اوان » فحذفت وجعلت الكلمتان واحدة . (ص 11)

وقد ايد « الثعالبي » هذا التعليل في كتابه « فقه اللغة وسر العربية » واضاف الى كلام ابن فارس ما يأتي :

« كقولهم ايش ، واصله اي شيء . (فقه اللغة ص 535)

وقد ذكر ياقوت في معجم الادباء في ترجمة الظهير النعماني اللغوي ، ان عثمان بن عيسى النحوي البلنطي شيخ الديار المصرية ساله يوما عما وقع في كلام العرب المنحوت ، ومعناه ان الكلمة منحوتة من كلمتين كما ينحت النجار خشبتين ويجعلهما واحدة ، فشقحطب منحوت من شق حطب . فساله البلنطي ان يثبت له ما وقع من هذا المثال ليعول في معرفتها عليه ، فاملاها عليه في نحو عشرين ورقة من حفظه ، وسماها كتاب تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب » .

وقد ايد جلال الدين السيوطي هذه الآراء في كتابه «المزهر» وذكر نحوا من ثلاثين كلمة من المنحوتات (ص 285 — 288) .

2 — النحت في الكتب الحديثة

1 — خصص « جرجي زيدان » في كتابه «الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية » بحثا مستفيضا النحت ، وقال في مستهله :

« النحت ناموس فاعل على الالفاظ ، وغاية ما يفعله فيها انما هو الاختصار في نطقها تسهيلا للفظها واقتصادا في الوقت بقدر الامكان . وهذا الناموس لم ينج من فتكه لغة من لغات البشر ادناها واسماها، بل قد جرى فيها على السواء من اول نشاتها ، ولم يزل حتى الان ، ولن يزال الى ما شاء الله » (ص29).

ثم انتقل الى شرح عمل النحت في اللغة العامية، وتحرى منشا بعض المنحوتات الدارجة ، مثل «ايشلون ، شونو ، هسع ، كمان ، قديش ...» . وقال بعد ذلك :

« فتامل كيف يفعل النحت على الالفاظ ، فيمسخها مسخا ... ولا اظنك ترتاب بانه كان بفعل مثل هذا الفعل على اللغة قبل ان يوشر في جمعها بزمان . وعليه فلا تعجب اذا ذهبنا الى ان الالفاظ الدالة على معنى في غيرها انما هي بقايا الفاظ ذات معان في نفسها ، ولو تعسر علينا استقراء جميعها » (ص 31) .

وبعد هذه الكلمات ياخذ المؤلف في شرح كيفية تولد بعض الحروف والادوات فيقول في الاخير « وهكذا فيما بقي من الادوات فان معظمها قابل الرد بالاستقراء الى اصله ، بشرط اعتبار النحت وقابلية الالفاظ للتغيير والتنوع دلالة ولفظا » (ص 41) .

اما فيما يتعلق بالافعال فانه لا يكتفي بقبول النظرية القائلة بارجاع الرباعيات والخماسيات الى الثلاثيات بل هو يقول بامكان ارجاع الثلاثيات الى الثنائيات ايضا : فهو يظن ان كلمة « قطف» من « قط » و «لف» ، وكلمة « قمش » منحوتة من « قم » و « قش» ، وكلمة «بمج» منحوتة من « بع » و« بج» . ويقول اخيرا « مثل ذلك في الالفاظ الثلاثية . وان استبعد بعضهم هذا التعليل فلا يستبعده من له شيء من الاطلاع على خصائص الالفاظ وقابليتها للابدال والنحت . زد على ذلك ان من يسلم حدوثه في الرباعي — بنحت كلمة واحدة من اربع او خمس كلمات ، كقولهم بسمل « قال بسم الله ..» وسبحل قال « سبحان الله » ، وهلل قال « لا اله الا الله » ، وحيعل قال «حي على الصلاة حي على الفلاح » وطلبق قال « اطال الله بقاءك » وجعلف قال «جعلت فداك» ودمعز قال «دام الله عزك » — لا يستبعد حدوثها في الثلاثي من كلمتين . ولنا فيما تقدم عن لغة عامتنا دليل » . (ص 58) .

2 — نقل محمود شكري الالوسي في كتابه « بلوغ الارب في معرفة احوال العرب» ما قاله ابن فارس عن النحت ، واضاف الى ذلك الملاحظات التالية :

«— مما يدل على ان اللغة العربية احسن اللغات صيغة واساليب ، واتمها واكملها نسقا وتاليفا ، مع تسويغ استعمال النحت عند اقتضاء الضرورة . ولو ان العرب الاولين شاهدوا البواخر وسكك الحديد واسلاك التلغراف والفاز ونحو ذلك مما اخترعه الافرنج لوضعوا لذلك اسماءا خاصة

ناصعة ، فهم على هذا غير ملومين ، وانما اللوم علينا حالة كوننا قد ورثنا لغتهم وشاهدنا هذه الامـــور باعيننا ولم نتنبه لوضع اسماء على النسق الذى الفه العرب وهو الاختصار والايجاز » (الجزء الاول ص 46 ــ الطبعة الثانية) .

3 ــ وقد خصص الشيخ عبد القادر المغربى بحثا وافيا للنحت فى كتابه « الاشتقاق والتعريب » . ومما قال : « النحت ضرب من ضروب الاشتقاق ومعناه فى اصل اللغة البري : يقال نحت الخشب والعـــود اذا براه وهذب سطحه ، ومثله فى الحجارة . والنحت فى الاصطلاح ان تعمـــد الى كلمتـــين او جملة فتنزع من مجموع حروف كلماتها كلمة فذة تدل عليه الجملة نفسها . ولما كان هذا النوع يشبه النحت من الخشب والحجارة سمى نحتا . وهو فى الحقيقة من قبيـــل الاشتقاق وليس اشتقاقا بالفعل ، لان الاشتقاق ان تنزع كلمة من كلمة ، والنحت ان تنزع كلمة من كلمتين او اكثر ، وتسمى تلك الكلمة المنزوعة : « منحوتة ».

« والنحت مما يعرفه اهل اللغة انفسهم وجروا عليه فى كلامهم ، وفى المعاجم اللغوية شواهد كثيرة على ذلك .

« ويمكن ارجاع النحت الى اربعة اقسام : نحت فعلى ، ووصفى ، واسمى ، ونسبى .

« الفعلى ان تنحت من الجملة فعلا يدل عـــلى النطق بها ، او على حدوث مضمونها ، مثل قولـــهم « بابا » اذا قال « بابى انت » والهمزة الاخيرة فـــى « بابا » منحوتة من انت ، و « سبحل » و «حوقل» من سبحان الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

ودمعز وسمعل من : ادام الله عزك ، والسلام عليكم .

و « فذلك » العدد ، اي قال فذلك العدد قـــد يبلغ كذا ، و « لاشاه» من صيره لا شىء . ومنه قوله تعالى « واذا القبور بعثرت » فان «بعثر» منحوتة من « بعث واثير» اي بعث ما فيها واثير ترابها .

« والنحت الوصفى ان تنحت من كلمتين كلمـــة واحدة تدل عـــلى وصف بمعناهما او باشد منهما ، نحو « ضبطر » للرجل الشديد ، منحوتة من «ضبط وضبر» وفى ضبر معنى الشدة والصلابة : جمـــل مضبور : مكتنز ، اللحم ، ورجل ذو ضبارة : مجتمع الخلق موثقه . ونحو «صلدم » : الشديد الحافر ، منحوت من « الصاد والصدم» ومثل « صهصلق » : الشديد من الاصوات ، من صهل وصلق ، وكلاهما بمعنى صوت .

« والنحت الاسمى ان تنحت من كلمتين اسما مثل «جلمود » من «جلد وجمد » . وقد يتاتى فى هذا النوع ان تكون حروف المنحوت عين حروف المنحوت منه ، ويكون اثر النحت فى الصيغة والهياة لا فى المادة، مثل (شقحطب) على وزن سفرجل ، وهو اســـم الكبش الذى له قرنان كل منهما يحكى « شق حطب » ، او مثل « حبقر » اسم للبرد بفتح الراء ، اصله « حب قر » كما يقولون حب الغمام على هياة التركيـــب الاضافى . والقر بضم القاف يعنى البرد بسكون الراء. ويقال هذا الشىء ابرد من حبقر ، يعنون من البرد ، بفتح الراء .

« والنحت النسبى ان تنسب شيئا او شخصـــا الى بلدتى «طبرستان وخوارزم » مثلا فتنحت مـــن اسميهما اسما واحدا على صيغة الاسم المنســـوب فتقول « طبرخزي» اي منسوب الى المدينتين كلتيهما. ويقولون فى المنسوب الى الشافعى وابى حنيفـــة « شفعنتى » والى « ابى حنيفـــة والمعتـــزلـــة » : حنفلتى .

« ولا اتحمل مسؤولية حسن مثل هذه الكلمات وصحة استعمالها واعتبارها من الفصيح وانما اردت ان استدل بالجملة على ان قوة الاشتقاق فى لغتنـــا العربية قوة عظمى تساعد على اتساع نطاق اللغـــة وتكاثر نتاجها . والمراة الفائق الولود قلما يخلو ان يكون فى اولادها السمج البغيض ، فلا عجب اذا وجد مثل حنفلتـــى وشفعنتـــى ذرارى اللغة العربيـــة الكريمة .

« وقد اعملت الفكرة مرة فى كثـــير من الكلمات الرباعية والخماسية فوجدت انه يمكن ارجاع معظمها الى كلمتين ثلاثيتين بجسهولة . ويحظت ان تكـــون تلك الكلمات فى لغة العرب انما كان بواسطة طريقـــة النحت المذكورة ، او مما نسميه الاشتقاق النحتى . فمثل « دحرج» منحوت من «دحر فدرج» ومثـــل « هرول » من «هرب وولى » و «خرمش» الكتاب : افسده ، من «خرم وشوه » او من « خرم وشرم» ، ومثل « دعثره» اذا صرعه من «دعه فعثـــر» ، و « بحثرت » الدجاجة من «بحثت واثارت» التـــراب

تلتقط الحب وهكذا ... (الاشتقاق والتعـــريب ، (ص 21 ــ 24) .

4 ــ وقد تطرق مصطفى صادق الرافعي الـى بحث النحت في كتابه « تاريخ آداب العرب » (ج ا ــ ص 184 ــ 187) . وبعد أن ذكر الكلمات المنحوتـة المشهورة قال ما يأتي :

« ومن أنواع التصرف بالنحت في العربية هذه الحروف فان من العلماء من يذهب الى انها بقايـا كلمات . وقد نص بعضهم على ذلك في احرف المضارعة فقال : انهم اخذوا الهمزة من (انا) والنون من (نحن) والتاء من (انت) وعدلوا عن الواو من (هو) الى الباء لكونها اخف منه ، وجعلوا الاحرف دليلا على ما كانت تدل عليه الاصول تقريبا فكملت المعاني مع اجـازة اللفظ .

« وقد تتبع علماء اللغات بعض الحـروف في اللغات السامية ليعرفوا من اين اخذت وكيف انتهت الى العربية على هذا الوجه فاهتدوا من ذلك الى بعـض ما يرجح انها منحوتة . ومن هذه الاسئلة التي عينوا اصلها (باء الجر) فانها تستعمل في العربية لمعـــان كثيرة كالالصاق والتعدية والاستعانة الخ . والاصل في ذلك الالصاق كما نصوا عليه ، ولكنها لا تستعمل في غيرها من اللغات السامية الا للظرفية ، فراوا ان اصلها (بيت) في العبرانية ، ثم جاءت (بى) في الكلدانية ثم الباء وحدها في العربية . فكان الباء بقية من لفظ (بيت) كمل بها المعنى الاصلي مع وجازة اللفظ وسعة التصرف » .(1) .

3 ــ اساليب النحت

يتبين من التفصيلات الآنفة ان عدد الكلمـات العربية التي يرجع اصلها الى النحت ــ بلا جدال ــ هو عدد لا يستهان به ، فالكلمات المنحوتة التي سبق ذكرها في الفقرات المقتبسة تتجاوز الثلاثين :

« بسملة ، حمدلة ، حيعلة ، هيللة ، حوقلـة ، سبحلة ، طلبقة ، جعفدة ، دمعزة ، بلباة ، فذلكة ، لاشى ، هرول ، بعثر ، دحرج ، خرمش ، دعثر ، بحتر ، عبشمى ، شفعنتى ، حنفاتى ، طبرخزي ، ضبطر ، صلدم ، صهصلق شقحطب ، حبقر ، ايان، لكن ، كان ، الآن ...»

مع هذا يمكننا ان نضيف الى هذه الكلمات طائفة كبيرة اخرى من المنحوتات :

حسبلة (من حسبى الله) ، سمعلة (من السلام عليكم) ، مشكنة (من ما شاء الله كان) ، عبدري (من عبد الدار) ، عبقسى (من عبد القيس) مرقسى (من امريء القيس) ، تيملى (من تتيم الله) ، درمج (من درم ودرج) ، حدقل (من حدق ودقل) ، دحقل (من دحـق وحقل) ، طرمح (من طرح وطمح) ، تلمط (من تمـط وتلط) ، جلمط (من جلد وحلط) ، حذلم (من حذل وحذم) ، دحمل (من دح وحمل) ، شمخر (من شمخ ومخر) ، ملحارث (من بنى الحارث) ، محبرم (من حب رمان)، مشلوز (من مشمش ولوز ــ اينما ، بينما ، ماخلا ، لولا ، لوما ، مهما ، هلا ، لاجرم ، لا محالة ، ويكان ، ما وراء ، مابين ... العنعنة (من : عن وعن) ، الماهية (من : ما هو) ، اللادرية (من : لا ادري) اللمية (من : لم) .

اذا لاحظنا انواع هذه الكلمات المنحوتة من حيث اللفظ ، وقارنا كل واحدة منها باصولها ، نرى ان تاثير النحت لا يتساوى في جميعها ، ومن الممكن تلخيص هذا التاثير في بضعة نماذج اساسية :

(ا) ــ لا يعتري الكلمتين اي تغير كان ، فـــان واحدتهما تلتصق بالاخرى فتصبحان كلمة واحـدة ، بدون ان يتغير شيء من حروفهما وحركاتهما ، كما في اللادرية ، وبينما .

(ب) لا يحدث تبدل في الحروف ، غير انه يحدث بعض التغير في الحركات ، كما في شقحطب وفذلـــك (فذلكة) .

ج ــ تبقى احدى الكلمتين كما هي ، وتختـزل الاخرى وحدها ، كما في مشلوز ومحبرم .

د ــ يحدث اختزال في الكلمتين ، ويكون هذا الاختزال متساويا في كلتيهما ، فلا يدخل في الكلمـــة

---

(1) البيت اصله فعل بات يبيت ، وحرف الباء ورد منفردا لا في العربية فقط بل في لغات اخـــرى كالفارسية وبصيغة (باء : (B 4)) في الانكليزية . لهذا لا يبدو ان لها علاقة بمعنى البيت في العبرانية . وقد وردت في هذا البحث نقاط اخرى جديرة بالمناقشـــة نتركها للقراء الكرام ــ « اللسان العربي» .

المنحوتة الا حرفان من كل منهما ، كما فى تعبشـــــم وهرول .

هـ ــ يحدث اختزال فى الكلمتين ، ولكن هـــذا الاختزال لا يكون متساويا فى كلتيهما ، كما فى : سبحل وبابا .

ز ــ تحذف بعض الكلمات حذفا تاما فلا تترك فى المنحوت اثرا كما فى : طلبقة وهيللة ، فان كلمة «الله» فى الاولى وكلمة «لا ، والا » فى الثانية قد حذفت بتاتا ، ولم يبق لها اثر فى المنحوتات المذكورة .

4 ــ النحت والاصطلاحات العلمية

قد راينا فيما سبق ان علماء اللغة المتاخرين بحثوا عن «النحت » باهتمام ، وقدروا اثره ومكانته فى تكون اللغة ، واعتبروه من وسائل التوسع والتوسيع فيها . وقد سوغوا الاستفادة منه لتكوين المصطلحات العلمية عند الضرورة ، حتى انهم اقترحوا ذلك احيانا بصراحة .

ومع هذا قلما راينا اقداما على الاستفادة مـــن النحت بصورة فعلية .

ونحن نعتقد ان الضرورة ماسة لذلك . اننـــا نعبر عن كثير من المعانى العلمية بتراكيب متنوعة . فاذا كانت هذه التراكيب قصيرة وسهلة ، يمكننـــا ان نستمر فى استعمالها على حالها ، اما اذا كانت طويلة وصعبة فمن مصلحة العلم واللغة ان ننحتها لاجـــل تسهيل استعمالها وانتشارها .

من المعلوم ان «لا» النافية اعطتنا كثيرا مـــن الاصطلاحات العلمية الرشيقة : فقد استعمل المتقدمون اصطلاحات عديدة من هذا القبيل فقالوا : لا متناهى، لا ضروري ، لا دائمى ، لا موصوفية ، لا ادرية ...

وقد استفاد المعاصرون ايضا من هذه الصيغة ، فصرنا كلنا نقول الآن : المخبرة اللاسلكية ، مبـــدا اللامركزية ، الحكومة اللادينية ــ كما نقـــول : لا شعوري ، لا ارادي ، لا تعاونية ، واللافقريات .

فيمكننا ان ننسج على هذا المنوال ونقول :

لا اخلاقى Amoral ، لا اجتماعى Associal

لا جناحى Aptère ، لا حياتى Azoique ،

لا تناظري Assymétrique لامائى Anhydrique

لا هوائى Anaérobie

ولدينا بعض ادوات قصيرة اخرى ــ عـــدا لا النافية ــ يمكننا ان نستفيد منها ايضا بسهولة لتكوين بعض المصطلحات المماثلة لما ذكرناه ، فلفظة « غب » مثلا تدل على حدوث شىء « بعد » شىء آخر ، فمـــن الممكن ان نستعملها مقابل Post الافرنجية ، كان نقول مثلا : غبمدرسى Sostscolaire . ونحن نرى هذه الكلمة ضرورية الاستعمال لان « الغبمدرسى» اصبح من اهم مشاغل الحكومة ، بعد تعميم التعليم الالزامى ، وقد قامت معظم الحكومات بتشكيـــلات واسعة النطاق من اجل هذا النوع من التعليم حتى انها سنت قوانين خاصة تجعله الزاميا ضمن بعض حدود معينة لجميع افراد الامة ، فاصبح هذا المعنى فى حاجة شديدة الى « كلمة » تدل عليه .

كذلك يمكننا ان نقول « غبجليدي Postuglaciaire (تكونات غبجليدية) ، و «غبيلوغ» Postpubère (عوارض غبيلوغية) ، وهلم جرا .

وقد اعتاد المعلمون والمؤلفون ان يقولوا مقابـــل تعبير Force centrifuge الافرنجى : « القـــوة الطاردة عن المركز» او «القوة الدافعة عن المركز» او «القوة عن المركزية » . ومن السهل اختصار هـــذه التعبيرات والاكتفاء بكلمة «عنمركزي » او «عمركزي »، حيث يمكننا ان نقول : «القوة العمركزية » .

وهناك كثير من المعانى اعتدنا ان نعبـــر عنهـــا بتركيب يحتوي على كلمة «قبل» مع حرف التعريف مثل «قبل التاريخ» و «قبل الطوفان» فلماذا لا نختزل مثل هذه التعبيرات بنحت كلمة « قبل» على شكل «قب» ، وبحذف حرف التعريف ؟ يمكننا ان نقول عند ذلـــك «قبتاريخ» Préhistaire وان ندخل هذه الكلمـــة المنحوتة فى التراكيب حسب سياق الكلام : «الانسان القبتاريخى ، آلة قبتاريخية ، رسم قبتاريخى ، الآثار القبتاريخية ...»

واذا سرنا على هذا المنوال امكننا ان نقول : قبمنطقى prélogique ، قبيلوغى prépubère قبفحمى précamrien ، قبتزهر Preflorason قبتورق Prefoliason وهلم جرا . ولا شـــك فى ان هذه الكلمات المنحوتة تمكننا من التعبير عن المعانى العلمية بسهولة كبيرة : « ان عقلية الاطفال مثل عقلية الاقوام الابتدائية ، عقلية قبمنطقية » ..

« ومن خصائص الفصيلة الفلانية: قبتزهر حلزونى، قبتورق متوال ..»

وكذلك يمكننا ان ننحت كلمات « خارج ، وفوق ، وتحت » على شكل « خا ، فو « تح» ونقول(خامدرسي)» Extrascolaire ، و «فوسوي» Surnormal و « تحشعوري » Subconcient .. وهلم جرا.

وقد سبق ان استعمل بعض المترجمين فى الكتب والمقالات العلمية ، الكلمات المنحوتة الآتية : «البرمائية (1) Anphibia (من البرماء .

« الحينب » و «الحينبات»(2) zoophyte (من الحيوان والنبات) .

« الحيزمن » (3) Espace-temps (من الحيز والزمن).

« الحيمن» او «الحويمن » spermatozoaire (من الحوين والمنوي) .

وقد اعتاد اهل العراق ان يسموا نوعا من القواضم بقولهم «ارجنا» (من الارنب والجرذ) لشابهته الارنب من جهة والجرذ من جهة اخرى .

ونحن نرى من المصلحة ، بل من الضروري ، ان نتقدم ونتوسع فى هذا السبيل ، فاذا سرنا على نفس المنوال ، يمكننا ان نقول «حينومة» Sperozoaire (من حيوان وجرثومة) ، و «عفنبات» saprophite (من عفن ونبات) ، و «حيشنة وحيشنات » Bryozoaire (من حيوان واشنة) ، و«حيسجة وحيسجات» histozoaire (من حيوان ونسيج) و «عظنبة وعظنبات» ostéophyte (من عظم ونبات) .. وهلم جرا .

ولقد كنت افكر قبل بضعة ايام فى كلمة تقابل pedocentrique لاستعمالها فى دروسى فخطر ببالى استعمال كلمة «طفركزي» (من : طفل — مركزي) على وزن «طبرخزي» . واعتقد ان النحت على هذا المنوال يخلصنا من مشاكل كبيرة ويغنى لغتنا بكلمات واصطلاحات قيمة .

فمن هذا القبيل يمكننا ان نقول مثلا «بشركزية» من (بشر — مركزي) anthropocentrisme، و «انركزية» égocentrisme من (انا — مركزي) .

وكذلك عندما كنت اتحدث الى تلاميذي عن «التسير فى المنام» somnambulisme وعن « السائرين فى المنام » وعن الحادثات النفسية «التى تظهر فى حالة السير فى المنام» وجدت نفسى ولسانى فى حاجة شديدة الى كلمة قصيرة وملت الى النحت ميلا شديدا . فما المانع ان نقول فى هذا المقام «سرمنة» (من سير ومنام) ؟ لا ريب فى اننا اذا قبلنا هذا النحت يسهل علينا الاسترسال فى الشرح : «التنويم hypnotisme ما هو الا سرمنة مستولدة » ، «المنوم يشبه المسرمن» .. « لا يذكر الانسان فى حالة اليقظة ما فعله فى حالة السرمنة » .

وقد اخذ علماء النفس يعتنون فى تدقيق احلام اليقظة Daydream وصاروا يتطرقون اليها فى امور التربية . افلا يجوز لنا ان نقول مقابل ذلك «حلقظة» (من : حلم ويقظة) ؟

اننى اعرف ان مثل هذه الكلمات المنحوتة تظهر فى باديء الامر غريبة على الاسماع لكننى لا اجد فيها ما يزيدها غرابة على الكلمات المنحوتة القديمة التى ذكرتها آنفا ، تلك الكلمات التى دخلت القواميس وشاعت بين الناس .

هذا ولا اظن ان حاجتنا الى مثل هذه الكلمات تقل عن حاجة اجدادنا الى امثال « البسملة والحوقلة والمشلوز والشقحطب» . فلماذا لا نجوز لانفسنا فى هذا الدور الذي يمتاز بالتفكير الشديد ، والنظر المعضل، والعلم العميق .. ما جوزه اجدادنا لانفسهم ، فى خلال ابحاثهم العلمية السطحية ، وتفكيراتهم النظرية البسيطة .

قد يقال : ليس للنحت قواعد واصول ثابتة واوزان معينة ، وان الاسترسال فى النحت يخل بتناسق اللغة ، ويفتح بابا للفوضى .

لكننا لا نجد مسوغا للتخوف من هذه الناحية : اننا نقترح استعمال النحت لاجل الاصطلاحات العلمية، وهذه الاصطلاحات محدودة بطبيعة الحال ، فلا يصعب مراعاة التناسق فى تكوينها .

---

(1) انيس الخوري المقدسى .

(2) عز الدين علم الدين

(3) عبد المسيح وزير

ونزيد على ذلك فنقول : لا يمكن نشر العلم بالتراكيب المطولة ، فاذا لم نقبل النحت فسنضطر الى استعمال الاصطلاحات الافرنجية نفسها ، ولا حاجة للاثبات ان اتساق اللغة في هذه الحالة يصبح اشد تعرضا الخطر .

اننا لا نلح في ترويج كل الاصطلاحات التي سردناها ، ولا نستبعد امكان ايجاد ما يكون اكثر موافقة منها . ولكننا نلح في وجوب قبول المبدأ ، وفي ضرورة الاقدام على النحت لاجل بعض الاصطلاحات العلمية .

ولذلك ندعو جميع الكتاب والمفكرين من الناطقين بالضاد الى التامل في هذه المسالة المهمة ، برحابة ذهن واهتمام تام .

(ج) — مناقشات حول بعض الاصطلاحات

— 1 —

ان دراساتي الاولى في مقدمة ابن خلدون — عندما نشرت سنة 1944 — اثارت كثيرا من الانتقادات والتعليقات في الصحف والمجلات . ولكن معظم تلك الانتقادات والتعليقات كان يحوم حول الكلمات والاصطلاحات .

واستغربت عندئذ اهتمام الكثيرين من المعلقين بالاصطلاحات التي استعملتها في تلك الدراسات ، اكثر من اهتمامهم بالآراء التي ابديتها فيها بالمسائل التي اثرتها خلالها .

وعندما اظهرت استغرابي هذا الى صديق اجتمعت به على مائدة الغداء خلال حديث عن الدراسات قاطعني بقوله : « ولكنك حقيقة تغالي في استعمال اصطلاحات جديدة وكلمات غير مالوفة ».

فاجبته قائلا : « انا لم استحدث اصطلاحا ما لم اشعر بضرورة ذلك للتعبير عن فكرة معينة ، وما لم اتاكد من ان تلك الفكرة لا يمكن ان تؤدي بالكلمات المالوفة ومن ان الاصطلاحات المعروفة تعجز عن التعبير عنها بما يلزم من الوضوح الفكري والتحديد العلمي ..

ولكن صديقي اراد أن يجرح قولي هذا بمثال ملموس فقال :

— مثلا ، انك قلت «سلطة متعضية » . لماذا ؟ اما كان يمكنك ان تقول « سلطة منظمة » ؟

تبررت من هذه الملاحظة التي فتحت امامي مجالا لمناقشة الامر بتوسع وتعمق ، مستندا الى مثال حي .

(وهذا الاصطلاح كان موضوع انتقاد خاص في بعض المجلات) .

وقلت :

— كلا .. ان كلمة « منظمة » او « منتظمة » لا يمكن ان تعبر عن المقصود في هذا المقام . لان النظام انواع : هناك « نظام ميكانيكي» ، و «نظام هندسي »، و «نظام عضوي» .

ان المقصود من نوع السلطة المبحوث عنها في الدراسات هي «السلطة » التي يتولاها عضو معين وجهاز خاص في المجتمع . وذلك بعكس «السلطة » المنتشرة التي لا تختص بعضو وجهاز فتكون ممثلة في مجموع المجتمع ، ومشاعة بين جميع افراده . المقصود هنا ليس وجود او عدم وجود «العضوي» و «الجهاز ». فتعبير «السلطة المنظمة » او «السلطة المنتظمة» لا يدل على هذا المعنى بوجه من الوجوه . هذه هي الملاحظات التي اضطرتني الى استعمال تعبير «السلطة المتعضية » .

قد يجد غيري اصطلاحا اوفق من هذا . اما الامر الذي اتمسك به كل التمسك في هذا المقام فهو وجوب ايجاد تعبير جديد او صيغة جديدة للدلالة على هذا المعنى الخاص وعدم ترك المجال لتموج وتذبذب المعنى المذكور ، في الذهن ، من جراء عدم ارتباطه باصطلاح متميز عن الكلمات والاصطلاحات المالوفة .

ولهذا السبب ساستعمل تعبير « السلطة المتعضية » الى ان يجد غيري اصطلاحا انسب من هذا في الدلالة على المعنى المقصود .

— 2 —

ان الايضاحات التي قدمتها آنفا على كلمة «المتعضية» تغنيني عن اطالة الحديث في سائر الاصطلاحات التي صارت موضوع نقاش ، بمناسبة دراساتي عن مقدمة ابن خلدون .

فاني انكرها فيما يلي بايجاز :

(أ) — عقلاني :

استعملت كلمتي « العقلاني» و «العقلانية» مقابل كلمتي rationaliste و rationalisme, الافرنسيتين .

لانى لم اجد كلمة «العقلى» و «العقلية» وافية بالمرام .

من المعلوم ان المقصود هنا « الاعتماد على العقل ، وتحكيم العقل فى كل شىء » . وهذا لا يمكن ان يستفاد من كلمة «(العقلية)» ابدا ، فكان من الضروري ايجاد صيغة جديدة ، مشتقة من العقل غير كلمة «(العقلية)» العامة .

فاخترت كلمة «(العقلاني)» قياسا على « جسماني ، روحاني ، علماني ...» التى صارت تستعمل كثيرا بمعان تختلف عن معانى كلمات « جسمى ، روحى ، علمى ..»

(ب) — قوانى :

وقد استعملت « قوانى» فقلت « الفكر القوانية» مقابل idées-force

اذ من المعلوم ان الفلاسفة لم يقصدوا بذلك «(الافكار القوية)» وانما قصدوا « الافكار التى تدفع الى العمل ، مثل سائر القوى » . وبتعبير آخر : « الفكر التى تشبه القوة الدافعة » .

فقد استحدثت هذه الصيغة الخاصة ، من كلمة الـ « قوة » للدلالة على هذا المعنى الخاص .

(ج) — قبلانى ، وبعدانى :

لقد استعملت كلمة قبلانى مقابل Apriori ، و « بعدانى » مقابل apostériori ، وذلك للتمييز بين « الاحكام التى تصدر قبل البحث والدرس» وبين « التى لا تصدر الا بعد البحث والدرس » .

من المعلوم ان المناطقة القدماء كانوا يعبرون عن ذلك بقولهم « ما يعرف بدليل لمى » و « ما يعرف بدليل انى » — لان الاول لا يقع جوابا للسؤال « لم ؟» والثانى يبدا بحرف « ان » .

ولا حاجة الى القول بان هذه العبيرات الطويلة لا تساعد على استقرار المعانى المطلوبة فى الذهن ، كما انها لا تيسر ذكرها بين العبارات وابلاغها الى القراء والسامعين .

وقد استعمل البعض فى هذا المقام كلمتى «(الاستدلال)» و « الاستقراء » ولكن هاتين الكلمتين تقابلان و فهما لا تنطبقان على المعنى المقصود تمام الانطباق .

فنحن فى حاجة شديدة الى كلمات قصيرة تعبر عن المعانى التى ذكرتها آنفا ، ولا سيما ان هذه المعانى مما يجب انتشاره بين جميع المثقفين . يجب على كل مثقف الا يعتمد على الاحكام التى تصدر قبل البحث والدرس . واعتقد ان قولنا « يجب اجتناب الاحكام القبلانية » يعبر عن ذلك باحسن الصور واقصرها .

— 3 —

عندما القيت سلسلة محاضرات فى « اصول الاحصاء» فى كلية الحقوق ببغداد ، اضطررت الى استحداث طائفة من الاصطلاحات ارى ان ادون اهمها فيما يلى :

(ا) — استعملت كلمة « واسط » مقابل Median

ومن المعلوم انه يختلف عن المتوسط وعن المعدل الحسابي ، لانه يدل على الحد الذي يقع فى وسط السلسلة الاحصائية ، ويقسمها الى قسمين متساويين

(ب) — واستعملت كلمة (ربعيل) مقابل كلمة Quartile لانها تدل على الحدود التى تقسم السلسلة الى اربعة اقسام متساوية .

(ج) — واستعملت كلمة « عشريل» مقابل كلمة décile لانها تدل على الحدود التى تفصل الاقسام عندما تقسم السلسلة الى عشرة اقسام متساوية .

(د) — واستعملت كلمة « مئيل » مقابل كلمة centile لانها تدل على الحدود التى تفصل الاقسام عندما تقسم السلسلة الاحصائية الى مئة قسم متساو .

(هـ)— وقلت « تمئيل» مقابل كلمة centilage التى تعنى حساب وتعيين المئيلات .

(د) — وقلت « استعشار» مقابل كلمة Decilage التى تعنى حساب وتعيين العشريلات .

(اضطررت الى احداث هذه الصيغة لان كلمة (تعشير) مالوفة ومستعملة بمعنى خاص آخر) .

(ز) — وقلت «استرباع» مقابل كلمة Quartilage التى تعنى حساب وتعيين الربعيلات .

(اضطررت الى استحداث هذه الصيغة لان كلمة « تربيع » مالوفة ومستعملة بمعنى خاص آخر).

— ٤ —

من الغريب ان اسماء بعض العلوم الحديثة صارت موضوع خلاف بين البلاد العربية ، واثارت بعض المناقشات بين متخصصيها .

(أ) — Physiology

ان العلم المعروف بهذا الاسم فى البلاد الغربية صار يسمى فى البلاد العربية باسماء مختلفة :

« فسلجة ، غرائز ، فسيولوجى ، منافع الاعضاء ، وظائف الاعضاء ..»

لا شك فى ان كلمة «الفسلجة» اوفق هذه الكلمات . انها سهلة اللفظ ، وسهلة التفريع والتركيب ، فيقال : فسلجى ، فسلجية ، فسلجيا ، فسلجة القلب ، فسلجة النبات ، فسلجة البصر ... الخ .

وهى معربة من كلمة فسيولوجى ، قياسا على تعريب كلمة « فيلوزوفى»(1) .

كانت هذه الكلمة قد استحدثتها « لجنة الاصطلاحات العلمية » التى تالفت فى دمشق عقب الحرب العالمية الاولى ، فى عهد الحكومة الاولى فى سورية ، وقد تبنتها فى حينها وزارة المعارف السورية، ثم تبنتها وزارة المعارف العراقية فانتشرت لذلك فى الكتب والمؤلفات فى جميع الاقطار الشامية . الا ان بعض الاقطار العربية ظلت معرضة عنها .

واما تعبير « علم الغرائز » فقد استعمله احد الاساتذة فى كلية الطب بدمشق ، وسمى كتابه بهذا الاسم ، ولكن كلمة الغرائز ، تستعمل مقابل Instinct physique فهى ادل على هذا المعنى .

(ب) —

هذا العلم يسمى فى الاقطار الشامية باسم (الفيزياء) وفى مصر باسم «الطبيعة» .

كلمة « فيزياء » من وضع لجنة الاصطلاحات العلمية التى ذكرتها آنفا ، وهى منتشرة فى جميع المدارس والمؤلفات فى سوريا والعراق ولبنان .

الا ان بعض الاقطار العربية ظلت متمسكة بتعبير « الطبيعة » او « علم الطبيعة » — فى جميع المناهج والمؤلفات ، مع ان كلمة الطبيعة مستعملة بمعنى عام يشمل كل ما فى الطبيعة من نبات وحيوان وجماد .

وقد استعمل القدماء تعبير « العلم الطبيعى » و « العلوم الطبيعية » بهذا المعنى الشامل ، فليس من المعقول تخصيص هذه الكلمة لتسمية العلم الذي نتكلم عنه .

(ج) — العلوم الحقوقية والعلوم القانونية :

من المعلوم ان رجال الحقوق فى فرنسا يميزون بين الـ droit وبين الـ code او الـ loi

وقد حذا حذوهم فى هذا الباب رجال القانون والحقوق فى بعض الاقطار العربية وميزوا بين « الحقوق التجارية » و « القانون التجاري» مثلا ، لكن البعض الآخر من الاقطار العربية لم تميز بين النوعين من الابحاث .

(1) — «اللسان العربى » : ورد اقتراح فى عدد سابق من قبل الاستاذ عبد الحق فاضل باستعمال كلمة عربية خالصة بمعنى الفيزيولوجى وهى « الجثمانيات» ، ويمكن استحداث الصيغ منها مثل : جثمانيا وجثمنة ، وتجثمن ، وجثمانية القلب ... الخ

وسائل تطوير اللغة العربية العلمية

الدكتور عبد الكريم خليفة
رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الاردنية

توطئة :

كانت اللغة العربية لمدة قرون خلت لغة العلم والفكر والحضارة ، فقد نقلت اليها انواع العلوم والثقافات المختلفة منذ القرن الثاني للهجرة ، فاستطاعت ان تستوعبها وتهضمها ولم تقف عند هذا الحد ، بل تجاوزته الى مرحلة الابداع والابتكار ، فأضافت عن طريق ابنائها اضافات اصيلة الى العلوم بأنواعها ، وكانت حلقة مهمة في سلسلة التطور الحضاري الانساني. ثم عدت عليها عوادي الزمن ، واصاب امة العرب ما اصابها ، من تكالب الاعداء في الخارج متمثلة بالحروب الصليبية في المشرق ، ووجهتها بيت المقدس في فلسطين ، وفي المغرب مارة باسبانيا الاسلامية ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى نالتها التمزقات الداخلية والحروب الاهلية وما صاحبها من انحلال سياسي واجتماعي .

وكانت نتيجة هذا كله ان انزوت هذه اللغة الشريفة ، لغة القرآن الكريم ولغة العلم والحضارة جانزواء اهلها . . . . . ولم تستيقظ الا في عصر التلفزيون والرادار والصواريخ العابرة للقارات ، عصر الطاقة الذرية وغزو الفضاء والنزول على القمر . . . . فيالها من حقيقة اشبه بالحلم . فهاهي لغتنا الحبيبة تستيقظ بيقظة اقطار امتنا العزيزة لتواجه الواقع بكل ما يحمله من مهام وواجبات ، وما يثيره من صعاب ومعقبات .

ليت شعري ماذا يكون موقف اللغة العربية !!! في هذا العالم المتطور وفي خضم المعارف الانسانية المتسارعة التي تضع الانسان في مجرى تاريخ بشري جديد . فهل تختار طريق الجمود والانطواء على الذات ، فتتراجع الى العدم كما يشاء لها اعداء العروبة والاسلام ؛ ام تنفض عنها غبار الزمن لكي تثير الادوات الكامنة في طبيعتها اللغوية والتي تجعل منها لغة حية متطورة تستطيع ان تستوعب ما يجد من المعاني الحضارية والعلمية ، وهنا تكمن اسباب الخلود في هذه اللغة الخالدة . . . . . .

بدأت امتنا العربية يقظتها مع بداية هذا القرن ، وصاحب هذه اليقظة نهضة لغوية تحاول مسايرة العصر ، وتوطد دعائم نهضة الامة ووحدتها . فقامت مؤسسات تعنى باللغة العربية في دمشق وبغداد والقاهرة فكان لها شرف السبق في وضع اسس النهوض بهذه اللغة مدركة الادراك كله انه لا يمكن ان تنهض الامة الا بلغتها القومية ، وكان يقابل هذا التيار البناء تيار آخر يناصب اللغة العربية العداء ، ويثير العقبات والمصاعب في وجه تقدمها متذرعا بشتى الوسائل من اقليمية وطائفية حينا ، ومن غيرة زائفة على التقدم العلمي والتكنولوجي حينا آخر . ولم يفت انصار هذا التيار ان يتخذوا من اللغويين والمتنطعين ومن بعض هفوات المجامع اللغوية وأساليبها سلاحا للتشهير والخذلان ونحن نستطيع ان نشير الى فترتين اساسيتين في نهضة اللغة العربية المعاصرة . فالفترة الاولى تتمثل في الفترة الزمنية الواقعة بين الحرب العالمية الاولى والحرب العالمية الثانية ؛ حيث تيار العربية يستعيد حيويته ويشتد في المشرق .

والفترة الثانية تتمثل في الفترة الواقعة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الوقت الحاضر، واهم ما تتميز به هذه الفترة من الناحية الايجابية تحرر الشمال الافريقي من ربقة الاستعمار من الناحية السياسية وخوضه معركة التعريب التي

تعتبر اساسا فى كيانه الوطنى والقومى ؟ وكذلك جاء استقلال بقية الاقطار العربية فى المشرق ، وتوطيد دعائم التحرر السياسى والاقتصادى والثقافى فى بعض الاقطار وما ادى اليه من انتشار الجامعات العربية وزيادة عددها بنسبة كبيرة فى الوطن العربى .

اما من الناحية السلبية فان هذه الفترة تتميز بالهجمات الشرسة التى يشنها اعداء العروبة على امتنا العربية مستهدفين كيانها السياسى واللغوى والثقافى بل والحياتى من حيث الاصل . فهناك الآن الاستعمار الاستيطانى اليهودى فى فلسطين تدعمه قوى الشر واعداء العروبة والاسلام ، وهناك التيارات الشريرة فى الداخل التى تحاول النيل من تراث هذه الامة وقيمها ولغتها .

فاذا ما وضعنا هذه العوامل جانبا لانها ليست الهدف من هذا البحث ، فاننا نستطيع ان نميز التيارات التالية على المستوى اللغوى فى العالم العربى مشرقه ومغربه :

1) تيار العربية الفصحى المتزمتة .

2) العربية الحديثة والتى تتمثل بلغة المجلات والجرائد .

3) العامية الدارجة .

4) اللغة الاجنبية .

وبالرغم من اننى لا انوى مناقشة موضوع اللغة الادبية فى هذا البحث فاننى اجد لزاما على ان اشير للحق وللتاريخ ان هؤلاء الذين ينادون باستبدال لغة اجنبية باللغة العربية قلة قليلة قد تنكرت لامتها وتراثها وقيمها ، ولكنها مع الاسف تركز جهودها الان على مستوى اللغة العلمية متذرعة فى ذلك بحجج شتى لا تثبت امام الامتحان . اما اولئك الذين ينادون بالعامية الدارجة ، فقد هاجموا على امتهم وبالتالى على عامياتهم المختلفة التى لا حصر لها ! ! ! فليت شعرى اليس لكل عامية قواعد نحوية وصرفية ؟ ؟ . وباية عامية يريدون ان يكتبوا ويتحدثوا ! ! ! فلكل قطر عامية وفى كل مدينة عامية ! ! ! وهكذا ...

وكذلك تكاد العربية الفصحى المتزمتة ، ان تنحصر فى بعض زوايا المؤسسات اللغوية وان تطور الحياة ومقتضيات العصر تفرض على الامة الحركة السريعة للحاق بركب الحضارة ومسايرة التطور العلمى والمشاركة فى الابداع والاختراع .

وسوف لا اقف عند اللغة الادبية ولا اخشى على وحدتها اذ ان « النص القرآنى » كفيل ابدئ فى توحيد اللغة الادبية . اما الخطر المحدق بنا الان فانما يكمن فى تطوير اللغة العربية العلمية لكى تواكب متطلبات العصر الحديث الحضارية والعلمية . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان هذا الخطر يتجسم ايضا فى صفوف المؤمنين بالتعريب والمنادين به الان ، وذلك بان تنشا لغات علمية عدة فى الوطن العربى ، فيصعب على العالم العربى وفى قطر من الاقطار ان يفهم ما يكتبه عالم آخر فى قطر آخر ....

ولا ادل على ذلك من هذا المثال الصارخ : قامت منظمة اليونسكو بوضع كتاب فى الرياضيات الحديثة للعالم العربى بلغة اجنبية ، ثم ترجم هذا الكتاب ، فترجم مع الاسف الى خمس لغات علمية عربية حتى الان ! ! فهناك الترجمة المصرية، والترجمة العراقية، والترجمة السورية، والترجمة الكويتية ، ثم الترجمة الاردنية . وكل ترجمة تستعمل رموزا ومصطلحات تختلف عما استعملته الترجمة الاخرى ، بحجة ان اجتهادها هو الصائب بنظرها . . . فان هذا الاجتهاد والغيرة على العربية لم يمنع من ان يؤدى الى بذر بذور لغات علمية مختلفة ، وفى هذا تحذير لخطر نشوء لغات علمية مختلفة وما يجره من اخطار اساسية على وحدة الامة وتعاونها وتنسيق جهودها فى ميادين العلم والمخترعات الحديثة .

اللغة العربية لغة متطورة حية ، والحياة تعنى النمو والازدياد . فقد حفظ القرآن الكريم هذه اللغة من الضياع والتشتت ، ولولاه لما كانت هناك لغة عربية اليوم وبالتالى لما كانت هناك امة عربية ولكان مصيرها مصير اللغات القديمة التى انقرضت او تلك التى تاثلمت الى لغات مختلفة كما حدث للغة اللاتينية . فنشات عنها الفرنسية والاسبانية والايطالية والرومانية ... ان النص القرآنى منع تشتت اللغة واندثارها ، وانه فى حفظه اياها من حيث الاساس لم يمنع تطورها ونموها . . . بل على النقيض من ذلك فقد جاء القرآن الكريم بلغة قريش وهذا يعنى انه اماث

ما عداها وقضى على الفوضى فى العربية واخضعها لقانون بيانى ثابت . . . وكان هـذا فى حد ذاتـه تطورا عظيما فى كيان اللغة .

ولم تتوقف عملية التطور فى اللغة ، بل استمرت باستمرار الحيـاة وتفاعلها الحضارى ، فمـن التطور عمله فى مادة اللغة كما عمل فى صورتها ، فان لغة الكتابة فى القرن الاول الهجرى تختلف عنهـا فى لغـة القـرن الرابـع الهجـرى ، وان اللغـة الفصيحة الادبية التى نقراهـا اليوم فى مجلاتنـا وجرائدنا المتعددة تختلف اختـلافا بينا عن لغـة الكتابة فى عهد الازدهار الحضـارى الاسلامى ولا شك أن هذا الاختلاف مرجعه الى عملية التطـور التى ما انفكت تلازم طبيعة هذه اللغة . وهـذا يطرح على بساط البحث مهمة انجاز معجم تاريخى للالفاظ العربية والمعانى التى تدل عليها من خلال النصوص وعبـر العصور التاريخيـة حتى الوقت الحـاضر .

المشكلات التى تواجهها اللغة العربية :

لقد ذكرنا سابقـا أن اللغة العـربية قـد اجتازت امتحانا صعبا وتجربة قاسية لم تواجهها من قبـل فـى حياتها ، فقهرت تلـك المشكلات ، واستطاعت أن تستوعب جميع المعـانى المادية والفكرية ، وبالتالى لم يستطع سلطان الاجنبى والمستعمر ان يقضى عليها . وهـى الآن تتعـرض للخطر العظيم يأتيها من ابنائها العاقين منهم وغـير العاقين أيضا ومـن هجمات الاستعمار الشرسة السياسية والاقتصاديـة والحضارية واللغوية . ان لغتنا تتعرض فى هذا الوقت الى خطر عظيم . كما أن امتنـا العربية تتعرض الى اخطار تهـدد وجودها وكيانها . ولا ادل على ذلك من الاستعمار الاستيطانى اليهودى فى فلسطين والذى يهدد الاقطار العربية الاخرى . والاصوات النابية التى تتعالى هنا وهناك فى المشرق العربى وفى مغربـه . تحمـل اللغة العربية وزر الهزائم وتنادى بتجـاوز اللغة الفصيحة الى لغات اجنبيـة حية او الى لهجـات عامية ممعنة فى الفرقة وتقطيع اوصال الامة والقضاء على هويتها لابقائها تحت نير التبعية المطلقة .

وأمـام هذا الخطر الداهـم ، يجب ان نعنى بسلامة اللغة العربية والعمل على جعلها وافيـة لمطالب العلوم والفنون وجميع شؤون الحياة الحاضرة ، فبالرغم من أن اللغة وسيلة الاداء والتفاهم بـين الافراد والجماعة ، فانها فى مفهومها القومى غاية فى حد ذاتها . فهى مجموعة من الافـكار والتقاليد والعواطف والاحاسيس والنزوات وشتى المشاعر والاعتبارات ، تنتظمها الالفـاظ انتظاما فى وحـدة ذاتية ترتبط ارتباط الشكل بمحتواه . . . وهنا لابد أن نطرح هذا السؤال الكبير :

كيف نستطيع رد الحياة النامية الى اللـغة العربية وبسط رقعة الوضع امام الواقع اليومى لكى تلحق هذه اللغـة بركب الحضارة وتـواكب مخترعاتها ومكتشفاتها المتزايـدة فى كل يوم ؟ اذ ما عسى أن يكـون مستقبل أمة ليست لهـا لغـة كاملـة ؟ . . . ان الامة التى ليس لهـا لغة تامـة صحيحة لا يمكن أن يكون لها فكر تام صحيح .

لا شك أن اللغة العربيـة تواجه فى الوقت الحاضر مشكلات مهمة لا بد من دراستها وتناولها بصورة موضوعية ومن خلال خصائص هذه اللغـة وأساليبها ووسائل نموها ونحن نستطيع ان نحدد هذه المشكلات على الوجه التالى :

1) مشكلة **المصطلحات فى اللغة العربية .**

2) مشكلة **نحو اللغة وصرفها .**

3) مشكلة **معجمات اللغة ومفرداتها .**

4) مشكلة رقم اللغة اى الاملاء

أما ما يثار حول انقطاع الصلة بين الاسلوب القديم والاسلوب الجديـد ، فى الكتابة الادبية فنحن نعتقد أن ذلك لا يكون مشكلة بل على النقيض انه دليل على حيوية اللغة وتطورها . فقد قامت الصحافة والمجلات الادبية بدور مهم فى ادخـال التعابير المترجمة من اللغات الاجنبية الى اللغات العربية الحديثة ، وهى تعابير كثـيرة لا يستطيـع تمييزها الا مؤرخو اللغة .

وان الكاتب الحديث يستعملها فى لغته الادبية دون أن يشعر بأية غرابـة او استهجان . مثـال ذلك قولهم : « ذر الرماد فى العيون » و « اصطاد فى الماء العكر » و « كان الحادث صدى بعـيد » و « قال ذلك بصفته مسؤولا » . . . . الخ .

ومهما يكن من امر ، فقد انسابت هذه التعابير الدخيلة الى لغتنا واصبحت جزءا منها . وان تدرة

اللغة العربية على استيعاب هذه التعابير وغيرها من التعابير المستجدة ليكون احدى ميزاتها الاصيلة في مسيرتها الحية المتطورة . ونحن اذ نجد بين الفينة والفينة من يشجب مثل هذه التعابير في الكتابة الادبية ، فان اللغة العلمية قد بقيت لحسن الحظ بنجوة من التتبع والمؤاخذة مما يفتح الباب على مصراعيه امام لغة العلوم والمعارف المستجدة .

ومن اهم المشاكل التي تواجهها اللغة العربية الفصيحة في مسيرتها من حيث هي لغة التعليم العام وبالتالي لغة الكتابة والحديث ايضا لجماهير المثقفين ، هي مشكلة استصعاب الدراسة النحوية والدراسة الصرفية مما يبعث على النفور من اللغة . وهنا لابد أن نفرق بين نحو اللغة باعتباره جزءا من طبيعة اللغة وجوهرها وبين أساليب دراسة هذا النحو أو الصرف ونحن نعتقد انه في طليعة اسباب هذا النفور من النحو والصرف ، يأتي الجمود في اتباع قدماء النحويين في سرد القواعد من غير عرضها على كلام العرب وشعرهم الخالي من الضرورة ، والتزام اقوالهم كأنها مما يحرم الاجتهاد فيه ، **فقد جمد النحو المعاصر الذي اخذت به المؤسسات التعليمية في الاقطار العربية على مدرسة البصريين دون غيرها من مدارس النحو . . . .**

وهكذا أتاه الجمود وصار النحو مع الاسف غاية في ذاتها لا وسيلة للتعبير عن المعاني والاحاسيس . ولم يستطع المؤلفون في النحو من المعاصرين أن يأتوا بشيء ذي قيمة في تسهيل هذا العلم الذي هو ميزان تأليف الكلام . وما يقال عن النحو يقال ايضا عن الصرف من حيث هو قوام تطور اللغة .

فلماذا مثلا يقتصر على اتباع المذهب البصري في كون اصل الاشتقاق من اسم المعنى لا من اسم الذات ، وهذا يعني تقديم التجريد على التجسيد ، وفي ذلك تضاد مع طبيعة اللغة .

أما قضية معجمات اللغة العربية ومفرداتها ، فان **المعاجم لم تدون جميع ما ورد في كلام العرب** ، بل لم تعتبر الا اليسير . فاين المعجمات من هذا التراث الضخم من كتب الادب ودواوين الشعر ومؤلفات العلوم بانواعها . . . فالعربية ما زالت بحاجة الى معجمات تستوعب الفصيح وغير الفصيح والقديم والمولد والعربي والمعرب مما ورد في كتب العرب المسلمين الذين الفوا بالعربية . وهنا تاتي اهمية وضع معجم تاريخي يستقصي الفاظ العربية ومعانيها المتطورة من خلال النصوص وعبر العصور التاريخية حتى وقتنا الحاضر . وان مثل هذا الجهد الضخم يحتاج الى تجنيد جميع طاقات الامة العربية اللغوية تدعمها مؤسسة على هذا النطاق ذات امكانيات مالية وفنية كبيرة ان البحث في مشكلة اللغة يقودنا حتما الى التحسس **بضرورة وجود انواع من المعاجم تكفل للغة العربية مواكبتها للحضارة العالمية ، وبالتالي توفر لابنائها مجال الابداع والمشاركة لانه لا يمكن الابداع الا بلغة الام** ، ونعني الام هنا اللغة القومية . ومن هذه المعاجم المعجم التاريخي او التشوئي والمعجم الاصطلاحي والمعجم المسادى (العام) والمعجم العلمي .

اننا بحاجة ماسة الى معجم يفي بجميع الاغراض العلمية ، تعرف فيه الالفاظ العامية بطريقة قادرة على تصوير الشيء المعرف تصويرا صادقا ينطبق على ما يدل عليه . ان لغتنا العربية في هذا العصر ، عصر الذرة وغزو الفضاء ، شديدة الحاجة الى المصطلحات العلمية والتقنية . ولذا فمشكلة المصطلحات هي كبرى مشكلاتها .

مشكلة المصطلحات :

قد لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان احتياج امتنا العربية الى المصطلحات العصرية اللغوية كاحتياجها الى جميع وسائل التقدم الحضاري بل ان حاجتها لذلك تاتي في المقام الاول لانها مرتبطة باسباب وجودها ، اذ ما عسى ان يكون مستقبل امة ليست لها لغة كاملة تستوعب موجودات الحياة ومعطياتها .

ليست هذه المشكلة خاصة باللغة العربية ، فقد عانتها الشعوب الناشئة فهذه الامة اليابانية ، قد استطاعت ان تطوع لغتها القومية وان تصل بها الى اعلى ما وصلت اليه التكنولوجيا الحديثة ، بل هاهي اللغة الصينية تنطلق بانطلاقة شعبها لكي تصل الى طليعة الدول الذووية ، دون أن نذكر امما اخرى قد جعلت من لغاتها القومية لغات تستوعب جميع المعارف والعلوم الحديثة مثل التركية والفارسية والدانماركية وغيرها .

وقد كان الامر كذلك فيما يتعلق باللغة العربية قديما . اذ اجتازت فى نهضتها صعوبات الترجمة واستيعاب المعانى الحضارية اذ ذاك فتم لعلمائها وضع كثير من الالفاظ بطرق الاشتقاق والمجاز والتعريب . . . . الخ .

وترجموا تعابير دقيقة حتى اصبحت اللغة العربية لغة العلم والحضارة اذ ذاك . ان ذلك كله يعنى اننا لا نقف الان امام تجربة نخشى عليها الفشل ، فقد مرت اللغة العربية بهذه التجربة ، وبرهنت على حيويتها وقدرتها المتجددة على الاستيعاب . فمن القدماء الذين عنوا بتسجيل المصطلحات نذكر « الخوارزمى » ، صاحب كتاب « مفاتيح العلوم » ، « والجرجانى » صاحب كتاب «التعريفات» و «الجواليقى» صاحب كتاب «المعرب الاعجمى فى لغة العرب» ، و «الخفاجى» المصرى جامع كتاب « شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل » « والتهانوى » صاحب كتاب « كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم » . . وان ما اثبت من اسماء المصطلحات فى الكتب العربية اكثر مما وردت فى هذه الكتب بكثير .

وفى العصر الحديث كان القصد الاسمى من انبعاث حركة المجامع ، العمل لاعداد لغة قومية شاملة فى مفرداتها واصطلاحاتها الاستعمالية التى تجرى مجرى الوسائط فى تادية الغرض العلمى .

فالمصطلح لا يعنى تسمية جامعة مانعة للمسمى كما يظن بعض الناس ، بل يرمز اليه رمزا لصلة بين الرمز والمرموز اليه . وهذه الصلة تختلف قوة وضعفا على حسب الاحرف المؤدية للمعنى . فالاصطلاح مقصور دائما على احاطة بمعنى الشىء المسمى اصطلاحا . ومن اجل ذلك كثيرا ما نقول : هذه الكلمة لغة معناها كذا واصطلاحا هنا كذا . . . **ويعتمد المصطلح فى استعماله ونيوعه على الرغبة والغيرة والدعوة وكذلك الزمان يساعد على ترسيخه وتثبيته او على زعزعته واقنائه** .

ان الاصطلاحات من الامور الوضعية والاعتبارية ، فالكلمات المصطلح عليها فى المعانى العامية لا تدل على تلك المعانى من حيث اللغة دلالة تامة ، فلذلك ليس من الضرورى ان نترجم الكلمة المصطلح عليها ترجمة حرفية بل من الاوفق ان نتحرى الكلمة التى يمكنها ان تدل على المعنى المطلوب على احسن الصور واوضحها .

ومما يجب ملاحظته فى اختيار المصطلحات ان بعضها تبقى بطبيعتها محدودة الاستعمال فلا يستعملها عادة الا طبقة من الاختصاصيين . ففى مثل هذه الحال يمكننا ان نستعمل الكلمات الاجنبية بل ويجوز لنا ان نبقيها على هيئتها الاصلية. اما بعض المصطلحات الاخرى فقد تكون عرضة للانتشار والذيوع ، وقد تدخل لغة الشعر والادب ، وهنا يتوجب علينا ان نختار الكلمات العربية ما استطعنا الى ذلك سبيلا . اما اذا اضطررنا الى استعمال كلمة اجنبية فيجب ان نعربها تعريبا تاما ، وذلك بأن نفرغها فى قالب عربى يسهل لفظها على الناطقين بالضاد .

لا شك ان غاية الكمال فى اللغة هى ان يخصص لكل معنى كلمة معينة او تعبير معين وان لا يلتبس فى الذهن معنيان من كلمة واحدة ، فى حين انه لا يزال فى كل اللغات كثير من الكلمات التى تدل على معان مختلفة وحتى على معان متباعدة . فاذا كانت المصطلحات قد وصلت الى درجة الكمال فى بعض العلوم مثل الفيزياء والرياضيات فانها بعيدة عن هذه الدرجة فى العلوم الانسانية . وهنا تأتى اهمية مقارنة الاصطلاحات التى تستعملها الامم المختلفة ، لكى تدلنا على ما يجب عمله فى مثل هذه الاحوال ولا سيما لكى نتجنب تقليد احدى اللغات بجميع نواقصها تقليدا اعمى .

فالمصطلح يوضع احيانا لادنى ملابسة بينه وبين مسماه ، واوهى صلة بينهما . وانما القضية التى تطرح نفسها على الساحة العربية هى : تعميم المصطلحات ونشرها واستعمالها فى جميع الاقطار العربية موحدة متفقا عليها . فاننا لا نستطيع ان نتصور اصطلاحا تاما فى ذاته غير قابل للتنفيذ والمناقشة بل وقد لا نصل اليه ابدا . وانما الهدف ايجاد لغة علمية واحدة بجميع مصطلحاتها فى الوطن العربى . فاللغة للامة جميعا ، ويجب ان نستكمل كل ما يدعوها للبقاء الخصب النامى ، وان تكون قادرة على تناول الاشياء مهما استدقت بصورة عربية بحتة تخدم الادب والعلم والفن والصناعة . . . وان اعداد العربية من حيث كونها لغة قومية وافية ، لا يضيرها مطلقا اذا كانت جماعة الاختصاص تتفق عالميا على الفاظ علمية بعينها . فهذا شىء يحدث فى جميع اللغات الحية .

ومنذ مطلع القرن العشرين بذل بعض الباحثين

مجهودهم فى اختيار مصطلحات مفيدة . نذكر منهم :

1) الدكتور امين المعلوف فى معجميه الحيوان واسماء النجوم .

2) الامير العالم مصطفى الشهابى فى معجمه النبات .

3) الدكتور محمد شرف فى معجمه العام .

4) المجمع اللغوى المصرى فى مصطلحاته .

5) الدكتور احمد عيسى فى معجمه للنبات .

وقد بحث موضوع « المصطلحات العلمية » فى المؤتمر العلمى العربى الاول الذى عقد فى الاسكندرية فى صيف عام 1953 . واستقرت المناقشات على ضرورة توحيد المصطلحات فى البلاد العربية جميعا .

وتطرق المؤتمر العلمى العربى الثانى الذى عقد فى القاهرة فى صيف عام 1955 ، الى بحث هذا الموضوع ايضا وتألفت فيه شعبة للمصطلحات درست توحيد الترجمة العربية لنحو عشرة آلاف مصطلح فى اربع حلقات هى :

1) حلقة العلوم الرياضية والطبيعية والفلك

2) علوم النبات والحيوان والصحة العامة .

3) علوم الكيمياء والجيولوجيا .

4) علوم المواد الاجتماعية .

وفى ربيع 1956 وافق مجلس الاتحاد العلمى العربى على خطة بشأن المصطلحات جاء فيها :

— : الاهتداء بالمعاجم والقوائم المعبرة فى اللغات الاجنبية التى حصرت المصطلحات الدالة على المعانى الكلية فى كل فرع وتشتمل على المصطلح الاجنبى الدال على المعنى وتعريفا دقيقا للمصطلح بحيث يكون من الميسور وضع اللفظ العربى وترجمة التعريف الى اللغة العربية .

— : طبع مصطلحات كل مادة فى معجم خاص ويرسل المعجم الى وزارات المعارف والهيئات العلمية والمجامع اللغوية ويلتزم استعمالها .

واهم ما أراه فى هذه الخطة هو « التزام الاستعمال » واتخاذ قرار بالتعريب ، ولكننا مع الاسف ما زلنا نجد انفسنا حيث كنا ! ! ! والسبب فى ذلك ليس له علاقة بطبيعة اللغة ولا بقضاياها التى تواجهها ، ولكنه يكمن فى السياسة التى تسيطر على المؤسسات العلمية العربية التى تنادى باللغة القومية على المجالات العلمية لاسباب مختلفة لا مجال لبحثها الان .

وسائل نمو اللغة فى التعبير عن معانى الحياة والفكر:

يصاحب النمو الحياة ويدل عليها . ولذا فاللغة الحية لغة نامية فى الفاظها وفى اساليبها . واللغة العربية هى احدى اللغات الحية النامية . وحيوية اللغة تقاس بقدرتها على التعبير بالفاظ خاصة عن كل ما يجول فى الفكر وما تتعامل به الحواس . وقد نمت اللغة العربية فى مدارج حياتها المطولة عبر العصور ، فتراكمت الفاظ كثيرة من المهجور وغير المستعمل والمغمور فى الكتب العربية ، المنشور منها والمخطوط ، المعروف منها والتائه بعد فى زوايا المكتبات والاتبية ، ما يدعم اللغة الحاضرة ويوفر لها الامكانيات الواسعة للاستيعاب المستجد .

فاللغة العربية كما تنص احدى الروايات ، تتألف من ثمانين الف مادة ، والعلماء يقولون ان المستعمل منها عشرة آلاف . وفضلا عن هذه الثروة اللفظية الهائلة التى تعتبر رصيدا ضخما للغة ، فان اللغة العربية تشتمل فى طبيعة تكوينها على عناصر نموها وحيويتها . فهناك : القياس والاشتقاق والقلب والابدال والنحت والارتجال والتعريب .

فالقياس من عناصر اللغات الحيوية التى تمدها بالقوة والتماء والنهوض والفتوة دائما ، وان استقراء القواعد بحد ذاته ليس الا ضربا من ضرب القياس . فالقياس استنباط مجهول من معلوم فاذا اشتق اللغوى صيغة من مواد اللغة على نسق صيغة مألوفة فى مادة اخرى ، سمى عمله هذا قياسا . فالقياس اللغوى هو موازنة كلمات بكلمات او صيغ بصيغ او استعمال باستعمال رغبة

فى التوسع اللغوي وحرصا على اطراد الظواهر اللغوية • وقد توسع الكوفيون فى القياس ، واباحوا النسج على القليل النادر ، فلا يكادون يقرون فى الاساليب المروية شذوذا بل طرقا متباينة ، لسنا ان نتخير منها ما نشاء وقد روى عن ابى على الفارسى وتلميذه ابن جنى : « ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب » • ولا شك ان لحرية الراي فى الامور الفلسفية والاجتماعية التى نمت وازدهرت فى القرنين الثالث والرابع الهجريين ، كان لها صدى فى البحوث اللغوية ايضا ولا سيما فى القياس •

وكان يناهض هذا التيار تيار آخر هو السماع اذ اكتفى اللغويون المحافظون بالسماع ، فوقفوا فى وجه التطور الذي تعنيه العربية وتدل عليه طبيعتها النامية ، وما زال مع الاسف بعض اللغويين اليوم ، يتمسكون بهذا الاتجاه ، ويحاولون ترقيع امزاق الماضى والتعامى عن مطالب العصر ، بل ويتحولون بالبحوث اللغوية الى ما ينفر من العربية ، ويجعلها مستحيلة على محبيها ، ناهيك عن اعدائها ••• هذا مع العلم ان حجة السماع واهية ، فقد ورد على لسان ابى عمرو بن العلاء قوله : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا اقله ولو جاءكم وافرا لانتهى اليكم علم وشعر كثير » ••• فالسماع مبنى على الحفظ ، وما لم يحفظ اكثر مما حفظ ، مما يسوغ لنا ان نقبل ما يؤيده القياس ، ويلغى ما يتمسكون به من حرمة السماع •

اما الوسيلة الثانية لنمو اللغة ، ولا سيما من حيث الالفاظ والصيغ فهى ما يسمى بالاشتقاق • والصلة بين القياس والاشتقاق وثيقة • فالاشتقاق عملية استخراج لفظ من لفظ او صيغة من اخرى ، والقياس هو الاساس الذى تبنى عليه هذه العملية الاشتقاقية كى يصبح المشتق مقبولا معترفا به بين علماء اللغة • انها طريقة فى تنمية اللغة وتوسيعها ، تقوم على تحوير العناصر الموجودة فى اللغة ، وتولدها توليدا طبيعيا ، وتظل الفروع المولدة متصلة بالاصل• ويبقى ميسمه اللفظى والمعنوي ماثلا فيها ، على تنوع وتوسع •

فاذا لم يوجد للكلمة الاعجمية مقابل فى العربية يشتق لها لفظ عربى والاشتقاق قياسى فى لغة العرب، قال احمد بن فارس : « اجمع اهل اللغة الا من شذ منهم ان لغة العرب قياسا ، وان العرب تشتق بعض الكلام من بعض » ، وهنالك الوان من الاشتقاق متمايزة ولكن اشيعها واخصبها هو الاشتقاق الصغير ويعنون به : « اخذ صيغة من اخرى مع اتفاقهما معنى ومادة اصلية ، وهيئة تركيب لها ، ليدل بالثانية على معنى الاصل ، بزيادة مفيدة لاجلها اختلفا حروفا او هيئة • مثل شارب من شرب ، وحذر من حذر •»

وذكر ان الاصل فى الاشتقاق ان يكون من المصادر ، واصدق ما يكون فى الافعال المزيدة والصفات منها واسماء المصادر والزمان والمكان • ويغلب فى العلم ، ويقل فى اسماء الاجناس كغراب يمكن ان يشتق من الاغراب وجراد من الجرد • والاعلام غالبها منقول بخلاف اسماء الاجناس فلذلك قل ان يشتق اسم جنس لانه اصل مرتجل ، فان صح فيه اشتقاق حمل عليه كغراب من الاغراب • وقد اشتقوا حديثا (مستشفى) مكان الشفاء و (متحفا) مكان التحف ، و (مصرفا) مكان الصيرفى ••• الخ •

وقد حمل تيار الجمود بعض المحدثين على القول بان الاشتقاق سماعى مقيد بازمان خاصة واشخاص معينين •

وبالرغم من ان الاقدمين جروا على الاشتقاق من الاسم المعرب ، فقالوا : هندس ودرهم ، وخندق وقرطس • وجرى المعاصرون على اشتقاق كهرب وكهربائية من الكهرباء ، ومغنط ومغناطيسية من المغناطيس واشتقاق اكسد من المعرب اكسيد • اقول بالرغم من ذلك كله فقد وجد فى العصر الحديث من يمنع اعطاء ما عربته العرب من اللغات واستعملته فى كلامها حكم كلامها فيشتق ويشتق منه بقولهم : « ومحال ان يشتق العجمى من العربى ، او العربى من العجمى ••» !!!

ونحن نعتقد ان هذا مفهوم خاطىء فضلا عن جموده واعاقته لحيوية اللغة ••• وهم فى ذلك يستندون الى مناقشات جدلية مبنية على قضايا غير مسلم بصحتها ••• وان المشتقات تنمو وتكثر حين الحاجة اليها • فقد كان العرب ، فى علاقاتهم التجارية والسياسية مع الاقوام المجاورة ، منذ القدم ، يتناولون اللفظ الاعجمى ، فيصقلونه ويهذبونه بحسب اوزان لغتهم ومنطق لسانهم ، فيخرج من لسانهم كانه عربى صميم • وهكذا فان هذه الالفاظ تعتبر عربية فصيحة، فكيف يمكن بعد ذلك ان تعتبر لغات مستقلة او ان

تحافظ على عجميتها والراي عندنا انها الفاظ عربية تخضع لقواعد اللغة ونحوها وصرفها دون اي تمييز الا ما حكم به الذوق السليم في عذوبة الجرس وسهولة اللفظ .

اما اشفاقهم على اللغة من الفساد . وبطلان حقائقها ، فهي حجة واهية وغير مقبولة واللغات الحية المعاصرة دليل على ذلك . فان الدراسات اللغوية تبين ان اكثر من نصف الفاظ اللغة الانجليزية ليست انجليزية الاصل ، وان اقل من نصف كلمات اللغة الفرنسية من اصل لاتيني والباقي من اصول يونانية والمانية ، وانجليزية وايطالية ، واسبانية وبرتغالية وعربية وهنغارية وعبرية وسلافية وتركية ، ومن لغات افريقيا ، ومن اللغات الاسيوية ومن اللغات الامريكية الهندية ...

وكما ان الحاجة ماسة في العصر الحديث الى الاشتقاق من المعرب ، فان الاشتقاق من الجامد ليس باقل اهمية . فقد وقف كثير من اللغويين بالاشتقاق من الجامد عند حد السماع . ففي « لسان العرب » في مادة (جرب) ورد :

« وجوربته فتجورب . اي البسته الجورب فلبسه » . وورد في محاضرات الراغب . « الحجاج لما جنق الكعبة » ، اي انه اشتق فعلا من «المجنيق». وورد في نزهة الجليس قول الامام عليه السلام : « مهرجونا كل يوم » . وورد في نشوار المحاضرة : « فرطلتها» اي فوزنتها في يدي لاعرف ثقلها اشتقه من الرطل ...

ولا شك ان القياس في هذا الباب يفتح الباب واسعا امام اللغة في استيعاب معاني التعامل مع الادوات الحضارية الحديثة التي تدخل في حياة الانسان بالعشرات والمئات كل يوم .

فالاشتقاق في اسماء الاحداث ضروري ، لابد منه ولا يجوز ان يكون عدم السماع حجة في منع قياسه واطراده . فانه ربما نظر الى الفعل الذي تفعله كل اداة مستحدثة ، فان استطعنا ان نشتق لها من فعلها اسماء فذاك . والا نظرنا فيها على طريقة التعريب ، فان وضع الكلمات الحديثة في اللغة يجري بصورة رئيسية اما على طريقة الاشتقاق واما على طريقة التعريب ، وقد يجمع بينهما .

التعريب :

التعريب والاعراب في اللغة معناهما واحد وهو الابانة والافصاح يقال : اعرب عن لسانه وعرب ابان وافصح . وتعريب الاسم الاعجمي ان تتفوه به العرب على مناهجها . تقول : عربته العرب واعربته ايضا . والمعرب هو ما استعمله العرب من الالفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها .

وقد كان للعرب بعض مخالطة لسائر الالسنة في اسفارهم ، فعلقت من لغاتهم الفاظ غيرت بعضها بالنقص من حروفها ، واستعملتها في اشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الفصيح ووقع بها البيان . وفي اللغة العربية من اللغات اليونانية والفارسية والسريانية والرومانية والحبشية والعبرانية والهندية الشيء الكثير ...

فالمعرب كثير في كلام العرب وفي علوم العرب قديما وحديثا . والاقتباس عام بين اللغات لا تستغني عنه اي لغة ما دام العلم مشاعا بين الامم ... والعلم في نمو وازدياد ، فلابد ان تزداد معه المصطلحات والمسميات . فالتعريب اذن ضروري لحياة العلم ... ولا خوف منه على كيان اللغة . فانما اللغة قائمة بحروف معانيها وافعالها وصرفها ونحوها وبيانها وشعرها وخصائصها التي تمتاز بها ، وان بضع مفردات غريبة عنها قد التجات اليها ، فاضفت عليها رونقها الخاص وطبعتها بطابعها ، لا تؤثر في جوهرها ولا في هويتها .

فالتعريب قد يكون آخر ما يلجا اليه في النقل عندما لا توجد كلمة عربية تترجم بها الكلمة الاعجمية او يشتق منها اسم او فعل او يتجوز منها مجاز او ينحت منها لفظ .

واللفظ المعرب يتبع قواعد التعريب في بنائه وتركيبه سواء اشبه العربي من كل وجه او حفظ على ما يدل على اعجميته .

ان العلوم التطبيقية الحديثة وما تضيفه في كل يوم من الادوات والمخترعات الجديدة تتطلب الفاظا كثيرة لهذه الآلات والادوات ، كما ان طبيعة بعض العلوم مثل الكيمياء والفيزياء الحديثة التي تتميز بهذا التطور الضخم السريع ، وبما تتميز به مصطلحاتها من حيث ارتباط الفاظها بعضها ببعض ، كل ذلك يبرر لنا اللجوء الى تعريب الالفاظ ، والا اختلط الامر علينا وضاع الهدف وبقينا متخلفين عن اللحاق بالركب المتقدم والبدء في سلم المشاركة والابداع .

فالتعريب يغني اللغة بذخيرة من الكلمات التي تعبر عن كل ظلال المعاني الانسانية ، كما انه يمدنا

بفيض من المصطلحات العلمية الحديثة التي لاتستغني عنها في نهضتنا العلمية .

وكان هناك فريقان في امر التعريب ، ففريق يذهب الى وجوب اتباع الكلمة المعربة وزنا عربيا ، فليس يكفي ان تتكلم العرب بالفظة الاعجمية حتى تغدو معربة ... وفريق آخر وفيه سيبويه وجمهور اهل اللغة يذهب الى ان التعريب ان تتكلم العرب بالكلمة الاعجمية مطلقا يلحقونها بابنية كلامهم حينا ، وحينا لا يلحقونها . بل وقد ذهب بعضهم الى القول : اذا عربت الالفاظ الاعجمية وتمكنت لدى العرب ، صرفها العرب واشتقوا منها مثل : ديباج ، فرند ، زنجبيل ، لجام ... الخ .

ونحن نرى الفاظا كثيرة عربت وشاع استعمالها مع وجود نظيرها في اللغة . مما يدل على مرونة هذه اللغة وقدرتها على الاستيعاب والنقل من اللغات الاخرى ، دون حرج . فلم يصبها الفساد ، ولم تفقد هويتها بل على الضد من ذلك ازدادت غنى وخصوبة واصبحت لغة عالمية للحضارة والفكر، لفترة طويلة ..

ومهما يكن من امر فلابد من اباحة التعريب باوجهه المختلفة ونقل الاسماء الاعجمية الى العربية بحروفها وذلك مثل اسماء الاعلام الاعجمية واللباس والشراب والطعام والاثاث والعقاقير الطبية غير العربية والادوية والعلاجات المادية واسماء الحيوانات والنباتات التي لم يعرفها العرب ولا هي من بلادهم وغير ذلك ... الخ .

ولعل من الواجب ان تتعارف جميع المؤسسات اللغوية على اصول يمكن اتخاذها قواعد للتعريب يقاس عليها ويجري على نسقها ، ويمكن تطبيقها والسير عليها في التعريب ، لكي تصبح الآداب العربية حيثما وجدت متحدة الالفاظ في المصطلحات ، فيسهل العلم وتوحد مناهجه ويعم نشره في جميع الاقطار العربية .

وان ما يسمى باقتراض الالفاظ في اللغات الاخرى ليس سوى الوجه الآخر من التعريب الذي يبيح لنا نقل الالفاظ الاعجمية دون تغيير او تشذيب .

فقد اصبح اقتراض الالفاظ بين لغات اوربا امرا مالوفا ... وتحرص المعاجم المؤلفة لهذه اللغات على بيان الكلمات الاصلية ، والكلمات المقترضة مع ذكر اللغة المستعار منها . فهنالك لغات حديثة يتحرج اهلها في قبول كل اجنبي من الكلمات ... وهنالك لغات ترحب بذلك الفيض الزاخر من الالفاظ المستعارة كالانجليزية التي يؤكد لنا بعض الباحثين ، كما اشرنا سابقا ، ان اكثر من نصف كلماتها اجنبي الاصل . واقتراض الالفاظ في اغلب حالاته وليد الحاجة حينا او الاعجاب حينا آخر ، كما راينا في الالفاظ المعربة التي شاع استعمالها مع وجود نظيرها في الاصل .

النقل المجازي :

وهو طريقة في التوسع اللغوي تستمد من اللغة نفسها ، وتفيد من عناصرها اللفظية المائتة والمهجورة، وهذا الاسلوب يطلق عليه اللغويون اسم المجاز مرة والنقل مرة اخرى . اما المجاز فهو تسمية الشيء باسم شيء آخر يقاربه او يتصل بسبب منه .

وقد يغلب استعمال لفظ في معنى على سبيل المجاز ، حتى يصير المجازي هو الذي ينصرف اليه الذهن عند الاطلاق . ومن هنا يمكن بعث الكلمات القديمة للدلالة على معان حديثة بطرق النقل المجازي. ولا يلبث اللفظ لغلبة استعماله في المعنى المجازي ، الا يفهم منه عند التجرد من القرينة الا هذا المعنى مثال ذلك :

المدرعة ، الغواصة ، الطيارة ، السيارة ، الحافلة ... الخ .

النحت و التركيب :

التركيب امر من امور النحت. فالكلمتان تتركبان احداهما بجانب الاخرى في كلمة واحدة ، وبنحات من اجزاء كل منهما ، تنتهيان الى وضع هو النحت عينه. ويرى بعض اللغويين ان النحت والتركيب امر واحد بل ويذهبون الى انهما لون من الوان الاشتقاق . وكان القدماء يطلقون «التركيب» على «النحت» كما هو راي الخليل . ومن اللغويين المعاصرين من يعبر عن النحت في معناه الاصطلاحي « بالتركيب والاختزال».

ويعرف القدماء النحت بقولهم : انه استخراج كلمة واحدة من كلمتين او اكثر .

فالنحت وجه من وجوه نقل الكلمات الاعجمية التي لا مقابل لها ، الى العربية والمنحوت من كلام العرب الذي وقع في اللغة كثير مثل : البسملة ، الحمدلة ... اما امثلة النحت المنسوب فهي كثيرة مثل : عبشمي ، وعبدري ... الخ وبالرغم من اختلاف آراء المعاصرين في التوسع باستعمال النحت في اللغة الحديثة ، يجمعون على ان النحت السائغ يزيد العربية الحديثة غنى فهناك من يقول بعدم

الحاجة الى النحت ، لا لشيء الا ان علماء العصر العباسي على حد قوله لم ينحتوا كلمات علمية ، وآخرون يقولون انهم لا يركنون اليه في المصطلحات الجديدة الا نادرا لا لسبب الا لانه على حد قولهم نادر في العربية ... الخ . وهنالك فريق معاصر آخر يرى في النحت وسيلة لاغناء العربية الحديثة ، وطريقة في التوسع يكفل لها مواكبة الحضارة وعلومها .

الا نرى اننا في كثير من الاحيان نعبر عن بعض المعاني العلمية بتراكيب متنوعة ، فاذا كانت هذه التراكيب قصيرة وسهلة يمكننا ان نستمر في استعمالها على حالها ، اما اذا كانت طويلة وصعبة فمن مصلحة العلم واللغة ان ننحتها لاجل تسهيل استعمالها وانتشارها . ومؤدى هذا الراي انه يقول بقياسية النحت عند الحاجة ، ولا شك ان هذا طريق سوي من طرق نمو اللغة وتطويرها . فقد قال المتقدمون مثلا : اللامتناهي ، اللاضروري ، اللاادرية .

ونقول الآن : اللاسلكي ، اللامركزية ، اللاشعوري .. الخ . لقد برهن بعض الباحثين المعاصرين على ضرورة جعل النحت قياسيا لكي يستخدم في مصطلحات العلوم الحديثة ولا سيما في المصطلحات الطبية . ولكن مع ذلك كله ما زال كثير من اللغويين يقفون من ظاهرة النحت موقف المتردد في قبول قياسيته ، وما زالوا يرون الوقوف فيه عند حد السماع .

ونحن لا نرى في هذا التضييق الا اعاقة لمسيرة اللغة ، في الوقت الذي نبحث فيه اللغة من جميع امكانياتها وخصائصها لكي تستوعب طوفان الحضارة الحديثة في ادواتها ومعارفها وعلومها ...

وربما كان من المفيد ان نفتح باب القياس في النحت على مصراعه على ان تراعى فيه اوزان الكلمة العربية وانسجام الحروف عند تاليفها ... فالمصطلحات العلمية المركبة من عدة كلمات ثقيلة الاستعمال وتتجه جميع اللغات الحية الى جعلها قصيرة مستساغة . وليس امامنا ونحن في دور التجديد السريع الا ان نفيد من تجارب اللغات الحية . فاما ان نعرب باثقل واما ان ننحت من «المصطلحات الوصفية» كلمات مفردة مستساغة لا لبس فيها ، بحيث يصبح لكل مصطلح علمي مقابل عربي مكون من كلمة واحدة ذات معنى محدد .

الطرق الكفيلة بتمكين اللغة العربية من مسايرة التطور العلمي والتقني :

لقد اجتازت اللغة العربية في عصورها الذهبية محنة الترجمة ايام العباسيين حتى اصبحت في طليعة اللغات العلمية . ثم جاءت عصور الانحطاط ففترت مقومات العربية كتابة وكلاما ، وجمد نشاطها حتى اصبحت مفتقرة الى المصطلحات العلمية والفنية ... وقد بلغ بها الحال في نهاية القرن التاسع عشر واوائل العشرين ان لا يرى لها اثر الا بين اناس يعدون على الاصابع اذ كان لسان التدريس واغلب الصحف باللغة التركية . وبعد الحرب العالمية الاولى بدات حركة عربية نشطة تعنى باللغة العربية وبالتراث العربي . وازدهرت حركة التعريب . وكانت تساير في قوتها وضعفها ، قوة النضال الاستقلالي و التحرر من قيود الاستعمار . فقد انبعثت حركة المجامع اللغوية في العقد الثاني من القرن العشرين . فتاسس المجمع اللغوي في دمشق ، وفي 1926 م تاسس المجمع اللغوي العراقي وكذلك قام المجمع اللغوي في القاهرة وكان القصد الاسمى لانبعاث حركة المجامع ، العمل لاعداد لغة قومية شاملة في مفرداتها واصطلاحاتها الاستعمالية لاستيعاب المعاني الحضارية المستجدة . قامت هذه المجامع اللغوية ، تعضدها جهود لغويين كثر بانجازات مشكورة ولكنها لم تحقق الهدف الذي من اجله وجدت . وليس من شاننا الآن ان نقوم هذه الجهود . فقد كانت هنالك انجازات مهمة وتخبطات اتخذها اعداء اللغة العربية للتشنيع والتشهير والسخرية لكي يعيقوا تيار التعريب بل وللقضاء عليه اذا ما سنحت لهم الفرصة .

لقد راينا فيما سبق ان اللغة العربية تحمل في طياتها وفي حقيقة تركيبها ووجودها ادوات تعتبر من خصائصها الاساسية ، تكفل لها النمو والتطور المتجدد لاستيعاب معاني جميع ما يبدعه الانسان ويصنعه في حياته المادية والفكرية . وليس هذا بالامر الجديد على العربية لكي تخشى منه عاقبة الاخفاق ، فقد مرت العربية بهذه التجربة من حيث المبدا وذلك في عصورها التاريخية الزاهرة . ومن هنا نستطيع ان نستخلص

القول : ان تعريب العلوم او عدم تعريبها ، وانتعريب التعليم الجامعي بفروعه العلمية المختلفة ، او عدم تعريبه انما هو قضية لا علاقة لها بطبيعة اللغة العربية او بقدرتها على الاستيعاب ، ولكنها قضية تتعلق بتيار سياسي يعادي العروبة وتراثها ولغتها وبالتالي يعادي الامة في جميع اقطارها ، ويمنعها من المسيرة في مدارج الحرية والاستقلال الحقيقي . فان ايسر مباديء التربية تقول : يستطيع الفرد ان يستوعب بلغته القومية اضعاف اضعاف ما يستطيع استيعابه باللغة الاجنبية ، مهما كانت درجة اتقانه لهذه اللغة .

(هذا فضلا عما سبق واشرنا اليه من ان الابداع والابتكار مرتبطان ارتباطا عفويا بلغة الام اي باللغة القومية) .

نقول ان قضية التعريب وعدمه مرتبطة بهذا التيار من ناحية ومن ناحية اخرى ترتبط بذلك التيار الجامد المتقوقع على نفسه ، المتفيهق والمتقعر بلغته والمتنطع في اسلوبه ، فان هذا التيار مع الاسف من حيث النتيجة هو الذي يمد تيار المتنكرين العربية وتراثها وقيمها بالحجج العاجزة .

وهنالك من يقول بتعريب المصطلحات العلمية والدوريات الاجنبية وامهات المصادر والمراجع العلمية الموضوعة باللغات الاجنبية الحية اولا ، لكي نبدا تعريب التعليم الجامعي ولا سيما في الكليات العلمية . وهذا يعني أيضا من حيث النتيجة ان نبقى تبعا ، متاخرين عن التيار العلمي . فان البحوث العلمية والمخترعات ، تضيف الى المعارف الانسانية كل يوم عشرات الالفاظ . ونحن نعتقد انه لا خير لنا ان نبدا بممارسة حركة التعريب في مجالاتها المختلفة وبادوات هذه اللغة النامية التطور ، التي اوضحناها سابقا . فان التفاعل بالممارسة العلمية الجادة وتوطيد العزم على ذلك ييسر لنا التغلب على العقبات التي اجتازتها امم حديثة لم تكن لغتها القومية الاسباب المتوافرة في خصائص العربية وخلاصة القول فان الوسائل التي يمكن الاستفادة منها ، بصورة رئيسية لتكوين كلمات جديدة بقصد الدلالة على معان جديدة تتلخص في ثلاث طرق اصلية هي :

1) الاشتقاق 2) التعريب 3) النحت . ونحن نعتقد ان الآراء المختلفة حول مدى استخدام هذه الاداة او تلك او حول التحفظات او التحديدات التي يبديها بعض اللغويين على استعمال هذه الادوات لا يمس جوهر اللغة في شيء . فكيف يمكن ان يكون غنى اللغة في وسائل نموها سببا لاعاقتها عن التقدم ومواكبة الحضارة العالمية .

لجات بعض المجامع اللغوية الى وضع أولويات في استخدام ادوات نمو اللغة مثل الاشتقاق والنحت ، مدفوعة بحرصها على سلامة اللغة . فوضع المجمع اللغوي العراقي عند تاسيسه سنة 1926م خطة في وضع الكلمات والمصطلحات العلمية . جاء فيها : « ان وضع الكلمات الحديثة في اللغة يجري اما على طريقة الاشتقاق واما على طريقة التعريب ، ولا مانع من الجمع بينهما ، ويرجع الى النحت عند الحاجة»... وكذلك : « لا يذهب الى الاشتقاق في وضع كلمة حديثة الا اذا لم يعثر في اللغة على ما يؤدي معناها ، بخلاف التعريب . فانه يجوز تعريب كلمة اعجمية مع وجود اسم لها في العربية » .. وكذلك : « يرجح الشائع المشهور من المولد والدخيل على الوحشي المهجور من الكلمات التي في معاجم اللغة » . وهذه قواعد جميلة يقبلها المنطق والحرص على رونق العربية وجمالها ، ولكنها لا يمكن ان تكون سببا في اعاقة مسيرة اللغة بحجة القصور في العمل او الامعان في التدقيق والاختيار ... فليس المقصود مطلقا الوصول الى المصطلح الذي لا يمكن ان يفضله مصطلح آخر ... الخ . وقد اشرنا الى الطبيعة الرمزية للالفاظ فيما سبق .

اما مجمع اللغة العربية في القاهرة فقد حدد طريقة في وضع المصطلحات بالتنقيب عنها اولا في كتب اللغة والعلم القديمة ، فاذا وجدها اعتمدها . واذا لم يجدها لجا الى الاشتقاق او المجاز او النسب او التصغير ، او نحو ذلك من القوانين اللغوية ، حتى تكون ثروة مستمدة من اصولها وموارداها فنستغني بها عن سواها ، ونستطيع ان نثبت امام جيوش الالفاظ الاجنبية التي تحاول ان تغزوها ... ويجيز المجمع استعمال بعض الالفاظ الاعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم ...

الخاتمـــة :

ان لغتنا العربية تواجه فى هذه الفترة العصيبة من حياة امتنا اخطارا تداهمها من العدو الاجنبى ومن بعض ابنائها مع الاسف • وان الواجب يقضى عـلى الغيورين على لغتهم والحريصين على بقاء امتـهم وتدعيم حريتها واستقلالها ان يتكاتفوا من اجل بعث حركة لغوية متطورة وذكية ، تصبح بنتيجتها اللغـة العربية لغة العلـم والادب والحضارة • تستوعب المصطلحات العلمية وتؤهل علماءها للمشاركـة والابداع •

فالمصطلحات العلمية هى الرافد الاساسـى للمعاجم والنهوض باللغـة على وجه العموم وهـى تشمل الفاظ الحضارة الحديثة فى شتى فروعها : فى المعرفة النظرية وفى التطبيقات العلمية ولا يراعى فى الاصطلاح الا الافضل مما اشتد اليه مسيـس الحاجة ولو كانت الكلمة اعجمية الاصل •

واخيرا فنحن نود ان نجعل اقتراحاتنا عـلى الوجه التالى :

1) لقد حان الوقت لتاسيس مجمع لغوى واحد ، تعاونه المؤسسات اللغوية الاخرى فى مختلف الاقطار العربية تكون مهمته اعداد المفردات والاصطلاحـات الاستعمالية الضرورية بالسرعة اللازمة على ان تلتزم جميع الحكومات العربية ومؤسساتها العلمية والثقافية بالتنفيذ • ويدعم هذا المجمع اللغوي دعما ماليـا ومعنويا • ونحن نتطلع لان يكون اتحاد المجامـع اللغوية نواة فعالة لهذه المؤسسة •

2) ايجاد هيئة جامعية ، فيها كفاءات ممتازة من اجل ترجمة الدوريات والحوليات والموسوعات العلمية المشهورة ونشرها باللغة العربية •

3) على المؤسسات العلمية العربية اتخـاذ خطوات ايجابية فى التعاو ، والتشاور لرفـع المستوى العلمى ، ولكى تتمكن من جعل العربية لغة رسميـة للتعليم الجامعى •

4) توطيد الصلات الادبية بين العلماء والمفكرين والمعلمين فى الاقطار العربية •

5) يفتح باب الوضع للمحدثين على مصراعيـه بوسائله المعروفة فى نمو اللغة وان يرد الاعتبار الى المولد ليرتفع الى مستوى الكلمات القديمـة ، وان يطلق القياس فى الفصحى ليشمل ما قاسه العرب وما لم يقيسوه ، وان يطلق السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل ما نسمع من طوائف المجتمع كالحدادين والبنائين وغيرهم من كل ذى حرفـة • وان قبـول المسموع الشائع من هذه اللغات الاجنبية التى دخلت الى لغة المصانع والحرف والمختبرات ، ولا سيما على نطاق البلاد العربية ، يوفعنا فى البلبلة والترادف ، وهنا ياتى دور المجمع اللغوي الموحد الذي اشرنا اليه• فالالفاظ الدخيلة فى عامية كل قطر من الاقطار العربية تختلف باختلاف المـؤثرات السياسية والاجتمـاعية ••• الخ •

6) هناك مخاطرة فى ترك علماء اللغة يعملـون وحدهم ، دون ان يعمل معهم علماء مختصون فى المادة التى يعرض لها الباحث ، وذلك بسبب الجهل بمادة العلم نفسه •

7) وضع معجم تاريخى للالفاظ العربية ، بحيث يبين المعانى المختلفة التى دلت عليها من خـلال النصوص وعبر العصور حتى وقتنا الحاضر •

8) وضع معجم لغوي جامع حديث فى ترتيبـه وسعة مادته واستجابته لمطالب العصر تتـعاون فى وضعه الاقطار العربية وتلتزم باستعماله •

9) العناية بتحقيق المخطوطات العربية واحياء ما فى المصادر العربية القديمة فى مجال اختبـار المصطلحات العلمية •••

10) القيام بحفريات فى الجزيرة العربية بحيث يكون للمجامع والمؤسسات اللغوية مساهمة فى اعداد التاريخ العربى القديم •

ونحن نعتقد ان تطور اللغة العربية وجعلهـا لغة التعليم بجميع فروعه وجميع مؤسساته وكلياته ، يعتمد قبل كل شيء على تبنى سياسة التـعريب • وان اتخاذ القرار والاندفاع فى تطبيقه وممارستـه بتوفر جميع المتطلبات اللازمة هو المنطق الحقيقى فى معالجة هذه القضية القومية والحياتية للامة •

المصـــــادر والمراجـــع

ابراهيم انيس : من اسرار اللغة ، الطبعـــــة الثانية ، القاهرة .

احمد تيمور : السماع و القياس ، الطبعة الاولى القاهرة ، 1374 هـ — 1955 م .

احمد عيسى : التهذيب فى اصول التـــعريب ، القاهرة ، 1342 هـ — 1924م .

اسعد على : تهذيب المقدمة اللغوية الشيـــخ عبد الله العلايلى ، بيروت ، 1388 هـ — 1968 م .

التنوخى — القاضى — ابو على الحسن بن على، نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، تحقيق عبـــود الشالحى 5 اجزاء — 1971 — 1972 .

الجواليقى ، ابو منصور موهوب بن احمد ، (465 — 540 هـ) ، المعرب من الكلام الاعجمى عـــلى حروف المعجم ، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر ، طهران 1966 .

الراغب الاصفهانى ، ابو القاسم حسين بـــن محمد ، محاضرات الادباء ومحاورات الشعـــــراء والبلغاء ، بيروت 1961 .

السيوطى عبد الرحمن جلال الدين ، المزهر فى علوم اللغة وانواعها ، جزءان ، القاهرة ، 1387 — 1958 .

عثمان سعدي ، قضية التعريب فى الجزائـــر القاهرة .

اللسانيات ، مجلة فى علم اللسان البـــشري ، معهد العلوم اللسانية والصوتية ، المجلد الاول العدد 2 جامعة الجزائر .

محمد الخضر حسين ، دراسات فى العربيـــة وتاريخها ، دمشق .

محمد الخضر حسين ، القياس فى اللغة العربية القاهرة ، 1353 هـ .

محمد رضا الشبيبى ، تراثنا الفلسفى ، بغداد، 1385هـ — 1965 م .

مصطفى جواد ، المباحث اللغوية فى العراق ، الطبعة الثانية ، بغداد ، 1385 هـ — 1965 م .

المكى العباس بن على بن نور الدين الحسينى الموسوي ، نزهة الجليس ومنية الادب الانيس ، ج2، النجف — 1967 .

ابن منظور ، لسان العرب .

المؤتمر الاول للمجامع اللغوية العلمية ، دمشق 1956 .

CH. BRUNEAU, Petite histoire de la langue française Tome premier - Paris 1966.

صيغة فعلون في العربية

الاستاذ محمد بن تاويت

لقد عرفت العربية صيغة « فعلون » بضم الفاء ، كما في عرجون ، الواردة في القرآن الكريم ، فهي مشتقة من العرج ، لانعراج العرجون كما يقول الزمخشري في الاساس ، وتقبلت من غيرها « عربون» المعرب من اربون ، واشتقت منه في الجاهلية والاسلام، كما في حديث عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، انه ابتاع دار السجن باربعة آلاف درهم ، اعربوا فيها ، اي اسلفوا .

وعلى ندرة « فعلون » المكسورة الفاء ، فقد قيل انه وجد في العربية ، بمثل صهيون ، كما وجد كذلك مكسورا في السريانية ، واقدم ما لدينا من نص في هذه الكلمة ، قول الاعشى :

وان اجلبت صهيون يوما عليكما
فان رحى الحرب النكوك رحاكما

ولكننا وجدنا الكلمة تشكل بفتح الياء ، كما فعل في فرعون ، وبرذون ، وحرذون ، استثقالا — ربما — لهذا الانتقال من الكسر الى الضم ، ولا فاصل الا السكون ، ولهذا ، لم يفعلوا شيئا في « صهيون » المفتوحة الصاد ، وتركوا الياء على ضمتها ، وقالوا انه اسم قبيلة كما في البكري ، الذي اورد البيت المذكور ايضا ، على ان كلمة « عشرون » يصح ان تحقق هذه الصيغة ، فهي بكسرها مستقلة بنفسها عن عشر وهو ما نجده في اغلب اللغات ، مثل (بيست) في الفارسية « ويكرمي » في التركية و VIGINTI في اللاتينية ، وما تفرع منها من لغات باختلاف بسيط فهي وحدة . وبهذا نكون قد وضعنا ايدينا على المفتاح، الذي نبحث عنه ، والسلاح الذي نفتقده في الميدان ، وقد اقتحمه بعضهم فكان « كساع الى الهيجا »»»»

كنت قد سمعت من استاذنا مصطفى السقا ، رحمه الله ، وانا ادرس عليه بكلية الآداب من جامعة فؤاد ، ان خلدون ومثله مما ولد في الاندلس العربي ، على خلقة اقليمية متاثرة بمحيطها الخاص .

ومنذ اسبوع وصلني العدد او المجلد الحادي عشر (الجزء الاول) من اللسان العربي ، فتصفحت من بحوثه بحثا قيما للاستاذ حامد عبد القادر ، بعنوان : « صيغة فعلون في غير العربية » وفي ذيل الصفحة ، ورد ما يلي :

قدم الاستاذ عبد الله كنون ، الى مؤتمر المجمع في دورته الحادية والثلاثين ، بحثا له في اسم خلدون ، وهل هو مكبر على الطريقة الاسبانية ؟ فاحيل الى لجنة الاصول ، وفي اثناء دراستها له ، قدم الاستاذ حامد عبد القادر بحثه هذا »

وكما ذكر في اللسان ، فان البحث نشر بادئا في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في الجزء الحادي والعشرين منها .

وقبل ان نعطي الموضوع حقه الذي نزعم به ، نود ان نسجل ملاحظتنا على بحث الاستاذ حامد ، حامدين الله اننا لم نطلع على غيره ، فنمر كراما به ، فعنوانه لا يحصر ما ورد فيه من امثلة ، بل انه انصب « زيادة الواو والنون في آخر الكلمة « عموما ، فكانت هذه «الزيادة » اليق بالعنوان . وقد ورد في البحث من امثلة الباب كلمة « مجلول » وهذا ان لم يكن تعرض للتصحيف المطبعي ، فانه خارج منه لكونه مفعولا

كما ورد منها « حفازون » وهو ليس من بابتنا في الصيغة فالزنة غير الزنة،وان انتهت بما انتهت به الا لدخل معنا من العربية نحو حيزبون وحلزون ، مما زيدت فيهنايته الواو والنونقطعا وتحقيقا، كما سنرى.

وكذلك نستبعد من الصيغة ، وان اكرههما القانون الصرفي الصارم ، كلمة حازون وشاعون ، كما نستبعد من الامثلة ما جاء مدغم العين باللام ، وهو صرفيا خاضع للزنة ، ولكننا نريد الفرز ، والتشخيص لفعلون ، هكذا ، كخلدون الذي لامس ما في الاسبانية او صاقبه وعلى ذكر ما في الاسبانية من هذا ، فالى القارىء امثلة من هذا القبيل :

Ladron من Ladrar اي النباح ، يقصدون

بالنباح المبالغة منه ، اللص ، كانه يقلده في عمله أو يثير نبح الكلاب عليه

Cabron من Cabra اي المعزاة ، يريدون بالمكبر منها «القرنان» الذي يطلق على الديوث ، فهو مكبر من المؤنث من المعـــزا

Maricon مكبر Marica مصغر Maria والمراد بمارية مطلق امراة ، كما يطلقون اسم فاطمـــة على المراة منا ، فهذا المكبر من ماركة تصغير مارية ، يراد به المخنث ، فهو لا يستحق ان يكبر من المراة مباشرة حتى تصغر هذه ، فيكون فيها من ضعف الانوثة ، ما يؤهل التكبير منه لهذا المؤتى ، فهو كذلك مكبر من المؤنث وان كانت الصيغة مذكرة ، كسابقتها ، ولا يؤنث كلاهمـــا .

وفي هذا لا باس ان نحمص ، بحادثة حصلت ذات يوم ، في احد الاقطـــار اتلى تتكلم الاسبانية ، وانا بدكان ، حيث دخلت على صاحبه صبيتـــان له ، تشتكي احداهما الاخرى ، انها قالت لها «ماريكونا» هكذا بالتانيث ، فلم ينفعل الرجل ، وقال في هدوء ، لا تقولي هذا يابنيتي

وللاطفال دخل في نشاة اللغة ، فقد سمعـــت الصبية الكلمة مذكرة فتصرفت فيها

نعود الآن الى كلمة ((فعلون)) هل هي مـــن قبيل التكبير الاسباني ؟ وهل زيادة الواو والنون لذلك خارج عن النطاق العربي ؟

كلا ، وايم الله ، وان كان بعضهم ، لا يريدنـــا مقسمين ، وجهل ما فيه من مقتضيات ننزهه عـــن بعضها .

لقد وردت فعلون في القرآن الكريم ، في التيـــن والزيتون ، وفي شجرة مباركة زيتونة ، ولم يرفـــض اصحاب المعاجـــم العظام ان يكون وزنهـــا فعـــلون وفعلونة ، ونكتفي بلسان العرب وتاج العروس .

اذن فالصيغة لا تاباها العربية على قلة ما ورد فيها ، وهل اصل الزيتون من الشام ، كما قالوا ، هذا لا يهم ، وقد قبل في العربية الفصحى بوزنه ، وقالت فيه الجاهلية اشعارها ، كقول ابي طالب :

بورك الميت الغريب كما بورك نضر الرمان والزيتون

وما لنا وللجاهلية التي تشككنا في هذا البيت ، وعندنا القرآن الكريم والحديث الشريف ، ففي الحديث ذكر لجيحون وسيحون ، كما في اللسان والتاج ومعجم ما استعجم والوفيات في ترجمة محمد بن ميكائيل ، ولا شك ان اسم جيحون كسيحون عربي والاشتقاق فيه من جاح كالاشتقاق في غيره من ساح ظاهر بين ، والا فان اسم جيحون بلسان قومه «آموي» كما نجـد في قول الرودكي من قصيدة له : (من رجال القـــرن الثالث واوائل الرابع) .

ريك آموي ودرشتي راه او زيد بايم برنيان آيدهمي

وكذلك سيحون اسمه عند قومه ((سيردريا)) بحر خوارزم وهو سير و«دريا» اي البحر ، كمـــا يسمى السابق ايضا «آمودريا» بزيادة بحر واسمـــه القديم «اوكسوس» ، وقد زاد البكري عليه اســـم نهر آخر اسمه ((نيشون)) ذكره مع غيره من اقســـام الفردوس اصحاب الاخبار ، كما قال ولا يعنينا صحة ما قالوه ، بقدر تقبلهم لهذا الوزن ، كما تقبلوا جيرون ، فقالوا انه فعلون ، من لفظ جير ، قالوا ، ان جيرون بن سعد نزل بهذا المكان فسمي به ، فهو عربي اذن ، وقد ورد في شعر ابي دهبل الجمحي ، حيث يقول :

طال ليلي وبت كالمخزون ومللت الثـــواء في جيرون

وقد تدخل الحس العام في جيرون ، فاعتبره جمع جير ، كما تدخل في «عشرون» واخضعه للتغـــــيير الاعرابي ، وما هو بذلك الجمع في شيء .

وكذلك وجدنا ((بينون)) قيل فيه انه على وزن ((فعلون)) كما ورد ايضا انه على وزن فعلول ، وهو مكان سمي ببينون بن ميناف بن شرحبيل ، فهو عربي كذلك ، ولا يهمنا الاختلاف في الزنة عند الصرفيين ، فنثبته كما هو بزيادة الواو والنون ، كما نثبت سمنون بعد والى جانبه بينونة ، قال المرار :

وما خفت بين الحي حتى رايتهـــم
ببينونـــة السفلـــى وهي نـــوازع

وقد يقال ان وزنه فيعلولة وله ضرائب وجدنا عينون، قالوا : وهي احدى القريتين اللتين اقطعها النبي صلى الله عليه وسلم تميما الداري واهل بيتـــه ، والاخرى حبري ، وهما بين وادي القرى والشام ، وورد عينون في قول كثير :

يجـــزن وديـــة البضيع جوازعـــا
بالليـــل عينـــونا فنعف تيـــال

وقد وقع لابن جني في هذا الوزن ان قال ، انـــه مثال فائت ، فعلـــق عليه ابن منظور بقولـــه : ومـــن عجب ان يفوت الكتاب وهو في القرآن العزيز وعـــلى افواه الناس ، قال الله تعالى ، والتين والزيتون ، قال ابن عباس ، هو تينكم هـــذا وزيتونكم هذا ، وقـــد ورد في شعر السكري (من القرن الرابع) تسميـــة

الحرباء بابى قلمون ، وهو عربى لاشك ، قال :

باع بوقلمون لناس وشاخ بوقلمون نماى
اب مروايد كون وابر مروارد بار

هذا ما يتصل بالصيغة ، على العموم ، اما ما يتصل بها علما ، بصفة خاصة ، فاننا نجدها بالشرق فى منتصف القرن الثانى ، وقبل ان يعرف العرب الاندلس بنحو نصف قرن ، فمن المعروف ، كما بالاغانى ان يزيد ابن عاوية ، كان ينادمه الى جانب الاخطل سرجون او سرحون الذيكان كالاخطل على النصرانية.

وفى القرن الثانى ، كان عدة رجال ونساء يحملون هذا الاسم فقد عرف حمدون بن اسماعيل ، وينكر الاغانى له حكاية ، مع المغنية دقاق ، التى كانت منقطعة الى حمدونة بنت الخليفة هرون الرشيد ، وعرف كذلك الهاشمى حمدون الحامض ، وهو جد الشاعر ابو العبر ، ابو العباس بن محمد بن احمد الذى لقب بحمدون ، وقد ولد الشاعر فى خلافة الرشيد ، وكان له استواء ايام ابنه الامين ، وطال عمره فكان من شعراء المتوكل المبرزين ، وفى هذا القرن عرفت الاندلس والقيروان اعلاما بهذه الزنة فشبطون القرطبى ، الفقيه المالكى ، الذي انتشر على يديه مذهب مالك بالاندلس ، كما يقول ابن حزم ، هذا فى الاندلس ، وعرف بالقيروان سحنون عبد السلام بن سعيد المولود بالقيروان سنة ستين ومائة ، واصله من الشام ، قالوا : سمى باسم طائر حديد الذهن بالمغرب فالصيغة على كل حال فى زنتها وحروفها لا تمت الى الاسبانية فى شىء هنا،وقد ادرك القرن الثالث وخلفه ابنه محمد المتوفى سنة 256 عرف بالشرق كما عرف ابوه ، وله مؤلفات طبع بعضها ، ومما لم يطبع «اجوبة محمد بن سحنون» و «الرسالة السحنونية » .

قال ابن خلكان الذي ضبط الاسم وذكر معناه : وفى فتح السين وضمها كلام من جهة العربية يطول شرحه ، وليس هذا موضعه ، وقد صنف فيه ابومحمد ابن السيد البطليوسى جزءا وقفت عليه ، وقد استوفى الكلام فيه كما ينبغى ، وهو مجيد فى كل ما صنفه .

نعم ان الصيغة شغلت النحاة ، فكان قبل البطليوسى ، ابو على الفارسى ، ينظر فى الاعلام التى وردت عليها ويمنعها من الصرف ، للعلمية وشبهه العجمة ، كما قال ، ومما علق فى ذهنى منذ التلمذة بفاس ، ان بعضهم انزل زيادة الواو والنون فيه منزلة زيادة الالف والنون ، ولكن هذا غير سديد ، لانه يشمل الصفة كما يشمل غيرها ، مما زيدت فيه الواو والنون وليس على هذه الزنة وتقدم حيزبون وحلزون وزادوا عليهما زرجون للمطر الصافى المستنقع فى الصخرة على ان بعضهم يصرف الوزن المذكور وهو علم ، نص على هذا الامير فى شرحه على معنى اللبيب ، فى مسالة تعلق الجار والظرف بحروف المعانى ، وعند قول ابن هشام « وهو اختيار ابن عمرون » ومع هذا فزيادة الواو والنون فيها من التكبير ما نحسه فى زيادة الالف والنون ، بنحو طوفان وخسران ورجحان ونكران وسكران وعطشان وشبعان وغرثان وفيمان وحيشان، وحيوان ، وان كان الصرفيون فرقوا ، ومن المعاجم المحدثة التى تكلمت على زيادة الواو والنون فى هذه الصيغة ، معجم عطية ، ففيه ان الواو والنون زيدتا للتكبير فى اللغة السريانية ، وهذا ان استعارته العربية، فهو من السريانية لا الاسبانية ، قال هذا عند تعرضه لكلمة « جملون» .

فى القاموس : الشيخ والشيخون من استبانت فيه السن ، قال فى تاج العروس معلقا عليه : واورده بعض شراح الفصيح وقالوا هو مبالغة فى الشيخ وبهذا تكون هذه الزنة معروفة فى فصيح اللغة العربية على انها للمبالغة .

ومهما يكن ، فالاعلام على زنة فعلون ، عرفت بالشرق فى القرن الاول واشتهرت فى القرن الثانى ، شرقا وغربا ، كما راينا سلفا .

وفى هذا القرن نجد عبد العزيز « ابن حمدون »، يقول : سمعت الحامض ينكر ان ابنه ابا العبر ولد بعد خمس سنين خلت من خلافة الرشيد ، كما بالاغانى بل نجد عرجون بن طالب ينكر مع الشاعر عبد الله ابن محمد الاحوص ، ولاشك انه عاش فى القرن الاول ، لان الاحوص مات سنة 105 وبذلك يضاف الى سرجون ، الذي ذكر ايضا .

وفيه نجد زرقون المغنى ، الذي كان اول من دخل الاندلس من المغنيين ، ومعه زميله علون ، ايام الحكم بن هشام .

وفيه نجد ذكرا لرجل آخر اسمه « علون» بفاس، فقتل فى المكان الذي يعرف حتى الآن بعين « علو » بحذف النون ، كما حذفت من صفرون ، وربما كان اسم الجبل بزرهون ، اسما اسلاميا ، مقلوبا عن زهرون الذي عرف فيما نذكر بعد ، نقول « ربما » ولا نقطع بذلك لانه قد يكون بربريا ، كما عرف فى الشرق زرجون ، وربما كان هذا معربا من زركون الفارسى ،

وهذه الكاف تحول جيما فى العربية كما فى كناه التـــى صارت جناح بالضم ٠

وفى القرن الثالث وجدنا جدا لابي على القالى يدعى عيذون ، فلا شك انه مشتق من العياذ بالله ، او حمل على ذلك كما نجد ابن خيعوتة ذكر بداره مـــن سامرا بمروج الذهب ، وابن عيشون الحرانى القاضى، والحمدونى الشاعر ، وغيرون ربيعة الخارجى ، وغير هؤلاء بالمروج ٠ وفيه نجد اعلاما اخرى بهذه الزنـــة ، ابراهيم بن اسماعيل ابن حمدون النديم الخصيـــص بالمتوكل ، وحمدون بن اسماعيل القصار شيخ الملامتية من المتصوفة ، كما فى كتيب لاستاذنا « ابو العـــلا عفيفى» رحمه الله ، وهذا البحتري معاصرهما يبعث بابيات لابن خردادية يقول فيها :

لم تدر ما بى وما قد كان بعدك من
نفاستى لك فى عبدون او حسدي

وكان للقائد صاعد بن مخلد النصرانى اخ يدعى كذلك عبدون نكبه باخيه الموفق كما فى مروج الذهب

على حين عرف بالقيروان المتصوف الاديب غلبون ابن الحسن بن غلبون ، وعرف فى الاندلس زيد ابـــن خلدون من رجال المائر عمر بن حفصون ، بل ابنـــاء خلدون عرفوا آنذاك بالاندلس رؤساء العرب الخلص، عند الامويين ، فكان ظهور هذا الاسم بالـــعرب لا المولدين ٠ وكان من هؤلاء الرؤساء كريب بن عثمان ابن خلدون احد كبير العرب ايام الامير عبد الله بن محمد ، كما فى المقتبس الذي يذكر آخرين ٠

وفى هذا القرن ايضا نجد محمد بن عمر بـــن خيرون المعافري القيروانى الاندلسى الامام فى القراءات والذي اشتهرت به قراءة نافع بافريقية ٠ وفيه كـــان سمنون بن حمزة الخواص الصوفى البصري الشاعـــر المشهور بمقطوعات الرشيقة ، كما كان سعيد بـــن حكمون تلميذ محمد بن سحنون ، ولعله بالفتح وهو مذكور فى البيان لابن عذارى ، وكان سعدون السرنباقى ايام محمد بن عبد الرحمن ، وقبله كان ايام الحكـــم الربضى حمدون بن فطمس ، ثم كان سعدون الفتى كبير خدمة ابنه عبد الرحمن ، وحمدون بن بسيـــل الاشهب ايام محمد ابنه ، ثم حمدون بن حبون وزيـــر ابنه عبد الله ، وقبله كان فرجون العريـــف ، وعـــرف من ابناء فرجون عبد الملك بن احمد المتوفى سنة 387 وآخر بهذا الاسم سنة 517 وربما كان هؤلاء بفتـــح الراء ، لهذا لن نعرج على غيرهم من ابناء فرجون ، كما لن نذكر اسدون وسرتون ، وابناء فرتون لان هؤلاء بضم الفاء وهم من FORTUNA الاسبانية اي الثروة والحظ ، وعرف فى الشرق لهذا العهد ابراهيـــم بـــن زهرون الحرانى قال القفطى اظنه جدا لابراهيم الكاتب وممن ادركوا القرن الرابع ابو عثمان سعـــــدون الخولانى ، ادرك سحنون وكان من كبار تلاميذ ابنه ، وسمع منه ابوبكر بن سعدون وتوفى 325 وعلي ابن حمدون بن سماك الجذامى المعروف بابن الاندلسى ، وهو من كبار القواد الفاطميين ، تولى بناء الزاب ثم الامارة عليه بالقرن الرابع ، وكانت بالشرق حمدونة اخت عيسى بن موسى الحرى زوجة محمد بن صالح الحسنى وفى الاندلس حمدونة بنت زريب زوجة الوزير هشام بن عبد العزيز ٠

وفى القرن الرابع كان القائـــدان ابنا عـــلى بن حمدون المذكور : جعفر ويحيا ممدوحى ابن هانـــىء الاندلسى بالامداح الطائرة الصيت ، كما مدح حفيده ابراهيم بن جعفر بقصائد طنانة ٠

وكان ببغداد محمد بن احمد بن اسماعيل بـــن عنبس ابن سمعون الزاهد الواعظ ، وهو الوارد فى مقامات الحريري بالحادية والعشرين منها وهى الرازية كما فى الوفيات ، كما كان يعاصره بالاندلس حامد ابن سمجون طبيب المنصور ابن ابى عامر ، وجعفر بن على ابن غلبون امير الزاب بعد والده بافريقية ، وهو الذي اشرنا اليه ، واشتهرت من امداح ابن هانىء فيه فائيته المعروفـــة :

اليلتنا اذ ارسلت واردا وحفـــا
وبتنا نرى الجوزاء فى اذنها شنفا

قتله المنصور ابن ابى عامر ، وقد انحاز برجاله الى الامويين ، وكان ممن استعان بهم المنصور المذكور على منافسيه فنال جزاء سنمار وكان يعاصره بحلب ، ثم مصر ، عبد المنعم بن عبيد الله ابن غلبون ، كـــان شاعرا مجيدا ومن المؤلفين فى القراءات ، كما كـــان ابنه طاهر ابن غلبون من نزلاء مصر والعلماء بالقراءات فيها ، وهو شيخ الدانى المشـــهور فى الـــقراءات ، وعاصرهم كذلك عبد المحسن بن محمد ابن غلبـــون الصورى الشامى ، ترجم له ابن خلكان ، ووصفه بالشاعر المشهور ،واتى بنماذج من شعره ، منهـــا نونية فاتنة يستهلها بقوله :

اترى بثار ام بديـــن علقت محاسنها بعينى

وفى هذا القرن والذي قبله كان محدث الاندلس سعيد بن مجلون سكن بجاية ورحل الى المشرق توفى سنة 346 وهو ابن 93 وكسر ٠

وفى القرن الرابع وجدنا ايضا من هؤلاء واولئك فى الشرق ، الجرشون تزوج ابنة عبيد الله بن بختشيوع وكان ابوها من اجلاء العمال وثابت بن ابراهيم ابن زهرون الحرانى الصابىء العالم الطبيب من مؤلفاته اصلاح مقالات من كتاب يوحنا بن سرافيون وابا اسحاق ابراهيم بن هلال بن ابراهيم بن زهرون بن حيون الصابىء الكاتب المبدع والشاعر المفلق ، فهو ابن عم ثابت بن ابراهيم ، ومحمد بن أحمد بن اسماعيل بن عنبس بن سمعون البغدادي الزاهد الواعظ الذى اشار اليه الحريرى فى مقامته الرازية ، كما بالوفيات وعبيد المنعم بن عبيد الله ابن غلبون الشاعر المجيد والمؤلف فى القراءات فى حلب ومصر ، وهو والد ابى طاهر ابن غلبون شيخ الدانى فى القراءات ، ومن الذين كانوا من رجال العلم فى الشرق لذلك العهد عبد المحسن بن محمد ابن غلبون الصوري الشامى ، وصفه ابن خلكان بالشاعر المشهور ، واتى بنماذج من شعره ·

وكان بالقيروان حسن بن خلدون البلوي قرا على علي ابن محمد القابسى ، وقتل سنة 407 وكذلك كان معاصرا له بالقيروان ابوبكر محمد ابن سعدون التميمى توفى سنة 344 كما فى عنوان الاريب ، وفى الاندلس كان العالم المقرىء محمد بن وسيم ابن سعدون الطليطى الاعمى المتوفى سنة 352 كما فى تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضى وسعيد بن فرج ابن فتحون النحوى القرطبى ، امتحن من المنصور بن ابى عامر ومحدث الاندلس ، سعيد بن مجلون ، رحل الى الشرق وسكن بجاية وتوفى سنة 346 وعمره ثلاث وتسعون سنة ، فيعد فى القرن الثالث ايضا ، وسعيد ابن فتحون الفيلسوف المنبوز بالحمار ، وقد ورد ذكره فى رسالة لمحمد ابن حزم ، ومحمد بن احمد بن عبد العزيز بن محمد بن سعدون ، روى عن ابن ابى زمنين ، المتوفى سنة 399 ، فالغالب انه ادرك القرن الخامس ومحمد بن أحمد ابن حمدون الخولانى القرطبى المتوفى سنة 380 · وابو بكر ابن زيدون والد الشاعر ، ادرك اوائل القرن الخامس وكان مولده سنة 304 · وابوبكر حامد الطبيب ابن سمجون الف فى الادوية المنصور ابن ابى عامر ، وعرف بافريقية محمد بن عبدون السوسى الشاعر توفى نحو 400 · وكان بالاندلس ايضا عمر بن يونس ابن عيشون خدم المستنصر وتوفى ايامه ومحمد بن احمد ابن سعدون روى عن محمد بن سحنون · وفى طرابلس كان بهذا القرن زاهدان ، احدهما رجل وهو ابن خلفون الحسانى ، وثانيهما عجوز تدعى سمدونة ، ذكرا برحلة التيجانى ·

وفيه كان ابو على ابن خلدون الامام المشهور بالعلم والصلاح كما فى شجرة النور والى بنته ينسب ابو الطيب الكندي توفى هذا 430 ·

وفيه كان محمد ابن عيشون الطليطى المتوفى سنة 341 وله رحلة الى الشرق ·

ومن رجال القرن الرابع كذلك عبد الخالق ابن سبلون القيروانى المتوفى سنة 391 الف المقصد فى اربعين جزءا ·

وقد فاتنا ان نذكر بدعة الحمدونية الادبية المغنية ، التى عاشت بين القرنين الثالث والرابع الى منتصفه وهى ممن ذكروا بالاغانى ·

وفى الاندلس كانت حفصة بنت حمدون الحجارية وفى الرابع كان ايضا حمدون بن سمك وعبدون بن الخير وفحلون بن هذيل ·

وكان فى الامكان ان نضيف الى هؤلاء عبد العزيز ابن محمد بن حيون قاضى القضاة بمصر والشام وغيرهما عند الفاطميين وهو باطنى · وقد عرفت مصر اسم حيون فى القرن الثانى ففيه نجد حيون بن صالح المصري ممن حمل الفقه والحديث عن مالك ، كما بالمدارك ، وشهر بالفاطميين آخرون كالنعمان بن محمد بن حيون القاضى عندهم كذلك ومن اركان دعاتهم ، وابنه على ابن حيون القاضى كذلك بمصر ، واخوه محمد ابن حيون القاضى بمصر ، ذكره الثعالبى فى اليتيمة زغيره وأورد له شعرا ، وهؤلاء افارقة من القيروان ، وكنا سنضرب عن ذكرهم صفحا لما تقدم منا اولا وكان بقرطبة عبد الله ابن حمون الفقيه المالكى توفى سنة 431 وقبله محمد بن ابراهيم بن حيون الحجاري روى عنه ابن مسرة توفى 305 ·

ننتقل الى القرن الخامس فنجد فيه لابن الحاج صاحب قرطبة ، ابناء ثلاثة ، حمدون وعزون وحسون، قال فيهم ابن السيد البطليوسى :

اخفيت سقمى حتى كاد يخفينى
وهمت فى حب عزون فعزونى
ثم ارحمونى برحمون فان ظمئت
نفسى الى ريق حسون فحسونى

كما كان لهذا العصر عمر بن احمد بن خلدون الاشبيلى المهندس المتفلسف توفى سنة 449 كما فى تاريخ الحكماء للقفطى · وفيه نجد محمد بن خزرون بن عبدون

الزناتي احد ملوك الطوائف بالاندلس ، وله اخ اسمه عبدون ، قتله المعتضد العبادي 445 ·

اما محمد فحصلت بينه وبين المعتضد موقعة في جنوب البرتغال ، قاتل فيها قتالا مستميتا ، بعد ان امر بقتل حرمه فقتل 448 ·

وكان من وزراء المقتدر ابن هود وزير يدعى تحقون ، فقيل فيه ، ((ضج من تحقون بيت الذهب)) يريد به احد قصور المقتدر يدعى مجلس الذهب

ومعلوم ان ابن زيدون كان من رجال المعتضد وابنه المعتمد ، توفي سنة 463 ثم كان ابنه ابن زيدون الذي قتل ايام يوسف بن تاشفين · وابو عامر ابن عيشون من رجال القلائد ، وابو العباس ابن عيشون من شيوخ ابي الاصبع المتوفى سنة 559وابن غزلون صاحب الباجي وهو احمد بن علي وفيه كان عمر بن احمد بن خلدون ، مهندس طبيب اندلسي وقد توفي سنة 449 وفي التعريف بابن خلدون ، انه عمر ابن محمد عن ابن حزم ، وكانت بالاندلس نزهون القلاعية الفرناطية ، وقد ذكرت كذلك ، وكما يقول المخزومي :

على وجه نزهون من الحسن مسحة
وتحت الثياب العار لو كان باديا

ثم ذكرها بقوله :

الا قل لنزهونة مالها
تجن من التيه اذيالها

فكان هذا منه ـ كما يبدو ـ تصرفا منه ، والا فقد عرفت بنزهون بلا تاء · وفيه محمد بن سعدون القيرواني ، مات في اغمات سنة 485 من مؤلفاته تاسي اهل الايمان بما طرأ على مدينة القيروان وغيره كما بالاعلام ، وذكر في شجرة النور ان وفاته كانت سنة 486 واخذ عنه ابن اخيه عبد السلام ابن سعدون المتوفى بتلمسان ·

ويذكر في التاج عند سرد الفيروزبادي اسماء مشتقة من سعد بينها سعدون ، ان ممن سموا به جد ابي طاهر محمد بن الحسن بن محمد ابن سعدون الموصلي ، وستاتي اخيرا سلسلة من الاسماء العراقية سميت بهذا الاسم محلى بال وبدونها ، وعبد الله بن فرج ابن غزلون الطليطي توفي 487 وابو مسلم ابن خلدون الاشبيلي الرياضي المتفلسف توفي باليمن ، ومحمد بن احمد ابن سعدون سمع اباذر الهروي بالشرق · وفي هذا القرن ايضا كان صاحب قلعة القدموس يدعى ابن عمرون ، ومنه اشترى الاسماعيلية هذا الحصن سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة · وفيه كان الشاعر الاريب عبد المجيد ابن عبدون اليابري من البرتغال صاحب المرثية لبني الافطس الذين وزر لهم ثم للمرابطين وقد ادرك القرن السادس ، بعد هذا نتصل بالقرن السادس ، فنجد فيه مثل عثمان بن عبد الرحيم ابن بشرون الازدي) الصقلي الاديب من رجال الخريدة ولعله بالكسر ، كما ذكر بشجرة النور ، ونجد بمصر سلامة بن رحمون الطبيب 5ـ6 وعبد الملك بن عبد الله ابن بدرون الحضرمي الشلبي من البرتغال حاليا وهو شارح قصيدة ابن عبدون ادرك القرن السابع · ومحمد بن الحسن ابن حمدون البغدادي عالم بالتواريخ صنف كتابه ((التذكرة)) في الادب والتاريخ نادم المستنجد العباسي ، ثم غضب عليه ، وحبس فتوفي في حبسه سنة 562 بعدما تولى ديوان الزمام ولقبه الخليفة بكافي الكفاة ، وخلفه ابنه الحسن الذي كان من الادباء ، مغرما بجمع الكتب والخطوط ، وقد تولى المارستان العضدي وتوفي سنة 608 بالمدائن ·

ومن رجال الاندلس لهذا العهد ابو محمد عبدون ابن صاحب الصلاة توفي سنة 578 ·

وابن عيشون من شيوخ صفوان بن ادريس المتوفى سنة 598 ·

وحسنون الرهاوي الطبيب النصراني ، وذكرناه كما ذكرنا سمنون ، لان الصيغة لا تاباهما ، وتوفي سنة 615 ·

ومحمد بن سعيد بن زرقون لقب جرى على بعض آبائه وتوفي سنة 586 ·

واحمد بن ابي بكر بن محمد بن غلبون من رجال هذا القرن ·

واحمد بن عبد الله بن خميس ابن نصرون ، توفي بالجزائر سنة 547 او ثمان واربعين

واحمد بن عبد العزيز ابن سعدون البلنسي من القرن السادس كذلك

واحمد بن محمد ابن عيشون ، توفي سنة 608، كما بالذيل والتكملة

وعبد الملك ابن جحفون او جعفون ، نزيل فاس، وبها توفي سنة 580

وغلبون بن محمد بن عيشون بن فتحون بن غلبون ، المتوفى سنة 613

وسعدون بن محمد بن فتوح روى عن ابن مضاء ، وينسب اليه مسجد بمراكش ، كما يقول ابن عبد الملك

والطيب بن احمد بن على ابن زرقون بن اطيح توفى سنة 556 وعبد الله بن محمد ابن سعدون توفى اواسط القرن السادس

وسعدون بن مسعود المرادى المتوفى سنة 520 ، فيعد بهذا من رجال القرن الخامس كذلك .

ولعله فى هذا العهد كانت قسمونة بنت اسماعيل اليهودي الشاعر الوشاح ، وكانت كذلك شاعرة وشاحة ، فربما صنع ابوها من الموشحة قسما فتتم هى الموشحة بقسم آخر ، ومنها نشات التسمية او اللقب ، كما يبدو .

ومن شعراء الموحدين فى هذا العصر، ابن حزمون وابن حربون ، نجد شعرهما فى الموحدين بكتابى المن بالامامة والبيان المعرب ، ونجد كذلك من رجالات الاندلس عبد الملك ابن عيشون المعافري له رحلة الى الشرق واخذ عن السلفى ، وحل بالمهدية وتوفى 574

وعلى بن محمد ابن فرحون القيسى القرطبى اقام بفاس مدة ، ثم شرق وجاور ، وله مؤلف فى الحساب يعد من اقدم ما لنا فيه توفى 601 .

واحمد بن عبد الودود بن سمجون ، ورايت فى بعض المطبوعات اخيرا ، شكله بفتح الميم ، ولسنا متاكدين من صحة ذلك .

وخلف ابن فحلون ، وهذا عاش كذلك فى القرن الخامس ، فيعد من رجال القرنين، ومحمد بن عبدون معاصره واحد الذين سمع منهم حمد بن سعيد ابن زرقون الانصاري الشريشى الاشبيلى ، تولى قضاء شلب ثم سبتة وتوفى سنة 586 باشبيلية .

ومن المشارقة لهذا العهد عبد الله بن محمد ابن ابى عصرون التميمى الموصلى الشافعى من علماء بغداد ، وتولى قضاء دمشق وتنسب اليه مدرسة بدمشق ، كما ذكر باعلام الزركلى ، كانت وفاته سنة 585 .

بعد هؤلاء نتصل بالقرن السابع ، فنجد فيه :

على بن اب ابن شلبون المعافري البلنسى الشاعر الكاتب ، وزر ليوسف ابن هود ، ثم فارقه الى مراكش حيث توفى بها سنة 639 .

ومحمد بن محمد بن سعيد ابن زرقون ، المتوفى سنة 621 عن نيف وثمانين سنة ، فهو من رجال القرن السادس كذلك

ومحمد بن اسماعيل ابن خلفون الازدي الاونبى، سكن اشبيلية ، وهو من رجال الحديث والرواية ، توفى سنة 636 كما بالتكملة .

وابا الحسن ابن زرقون ، شيخ الشريشى ، ويعد كذلك من رجال القرن السادس

ومحمد بن على بن محمد ابن عيشون المتوفى سنة 664 .

وعيشون بن محمد بن عيشون المتوفى بتونس سنة 644

ومن المغرب محمد ابن عبدون المكناسى المتوفى سنة 658

ومن النساء سعدونة بنت عصام الحميري القرطبى ، وسعدونة هذه هى ام السعد الشاعرة ، توفيت سنة 640

ومن المشارقة ابن عمرون ، تلميذ يعيش ، جالسه ابن مالك بحلب ، كما جالس شيخه

وعبد الوهاب بن احمد ابن سحنون التنوخى الدمشقى ، شيخ الاطباء بها ، وكان شاعرا خطيبا ، توفى سنة 694

ويوسف بن يحيى السبتى ، المعروف بابن سمعون ، قال القفطى وسمعون جده العاشر اوالتاسع وهذا يهودي طبيب ، هاجر من فاس الى الشرق ، واتصل بابن ميمون فى مصر ، كما يبدو ، ثم استقر بحلب ، وتوفى سنة 623 ، فليس بمشرقى النشاة والاصل

ومن الذين عرفوا بالشرق ، عبد العزيز ابن سحنون ، برهان الدين الغماري النحوي ، توفى بمصر سنة 624

ننتقل الى القرن الثامن ، فنجد فيه :

عبد الله بن على ابن سلمون الكنانى الغرناطى اجتاز الى المغرب ، فقرا بسبتة ، وتصوف بفاس ، وتوفى مجاهدا بوقعة طريف سنة 741

المدنى المولد والوفاة سنة 746 ، ومنهم ابو اسحاق ابراهيم بن على بن محمد ، ابن السابق ، وهو صاحب الديباج المذهب ، توفى سنة 799 .

وربما كان من المشارقة ايضا ، محمد بن احمد ابن سمعون ، ناصر الدين ، العالم الفلكى الميقاتى ، والمؤلف فيهما والعمل بالاسطرلاب والربع (لعله يشمل المجيب والمقنطر) وتوفى سنة 737

وكان بنو فرحون آنذاك كذلك ، منهم اخوه ابو اليمن محمد برهان الدين المدنى العمدة ، كما وصفه فى شجرة النور ، ومنهم على بن محمد التونسى الاصل المدنى النشاة والوفاة سنة 769 ، فهو مشرقى اذن ،

عبد الله بن محمد ابن فرحون التونسى الاصل

ويحيى بن محمد ابن خلدون اخو عبد الرحمن ، مات فى سجنه قتيلا ، سنة 780 عن نيف واربعين سنة ، وكان كاتبا مؤرخا جيدا . اما اخوه فقد ادرك اوائل القرن التاسع ، كما هو معلوم ، وتوفى بمصر سنة 808 ، وخلدون الذي ينسبان اليه ، هو الجد التاسع لهما ، فابوهما محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون ، كما ذكر بالتعريف .

وفى هذا القرن كان ابن فركون تلميذ ابن الخطيب ، وكان ممن تغير عليه من التلاميذ العاقين ، كابن زمرك ، وقد ذكر ابن الخطيب فى كتابه المحبة ، ابن خلصون ، كاحد المؤلفين فى المحبة ، ولا ندري اهو من هذا القرن او سابق عليه

ومن هذا القرن ابو الحسن ابن فرحون ، وابو محمد ابن سلمون احد الذين روى عنهم ابن الخطيب ، وربما كان السابق ذكره بعبد الله .

وفى القرن التاسع نجد :

ابا عبد الله شقرون بن محمد بن احمد بن ابى جمعة المغراوي الاستاذ المتكلم ، من شيوخه ابن غازي ، توفى سنة 929

وكان من رجال الدولة ابن شقرون ، صاحب الشرطة بقصبة فاس القديم ، على عهد ابى عبد الله البرتغالى الوطاسى

ومن الاندلسيين الفقيه الصالح ابن حرشون معاصر ابن الشران الاندلسى ، ولهذا شعر يخاطب به ابن حرشون .

ولعل ((ريسون)) والدة على بن عيسى ، كانت

وابن شقرون

من مواليد القرن التاسع ، وادركت العاشر ، كشقرون

وهى فى الزنة ((فعلون)) فقد ذكر ريسون فى المعاجم ، بمادة ريس ، وعرف فى الشرق بلد بهذا الاسم ، فى الاردن ، كما انكر

وفى القرن العاشر نجد : على بن ريسون المذكورة وتوفى فى منتصف هذا القرن واحمد ابن الحسن ابن عرضون المتوفى سنة 992 وذكر فى النبوغ بعرضون دون ابن وبتاريخ الوفاة سنة 993 .

ومحمد بن على ابن ريسون المتوفى اوائل الحادى عشر .

ومحمد بن الحسين بن عرضون ، العلامة الهمام المشارك المتفنن ، كما هو فى شجرة النور ، توفى سنة 1012 هـ

ومحمد بن هبة الله الملقب بشقرون ، قاضى مراكش ، كما فى الاعلام لابن ابراهيم ، توفى سنة 983 .

بعد هؤلاء ننتقل الى القرن الحادي عشر ، فنجد فيه

الحسن محمد بن على ابن ريسون

وعبد القادر ابن شقرون المكناسى ، الطبيب الاديب ، ادرك الثانى عشر ، واخذ عن شيوخ العهد الاسماعيلى كالتستوتى والولالى

وفى القرن الثانى عشر ، نجد :

محمد بن محمد الصادق ابن ريسون وصاحبه التهامى ابن رحمون .

وابا محمد عبد القادر ابن شقرون القاضى على فاس ، ايام المولى محمد بن عبد الله

وعبد الله بن عبد الرحمن ابن حمدون ابن الحاج ، وكلاهما ادرك الثالث عشر

وفى طرابلس نجد محمد بن خليل ابن غلبون

وفى القرن الثالث عشر ، نجد :

من الشرق ، السعدون حمود بن ثامر المتوفى سنة 1247

والسعدون عقيل بن محمد المتوفى السنة المذكورة

والسعدون بندور بن ناصر المتوفى سنة 1280
والسعدون ناصر بن راشد المتوفى سنة 1301

والسعدون فهد بن على المتوفى سنة 1314 ذكر هؤلاء جميعا فى اعلام الزركلى محلون بالاداة ، وفى المغرب ، كان من ابناء شقرون ، ابو العباس احمد المراكشى من امناء الحسن الاول .

وابو العباس احمد الحاج الفاسى ، احد المبعوثين الى اسبانيا للدراسة من قبله

وابو العباس احمد امين الصائر له

وابو الفيض حمدون بن عبد الرحمن ابن حمـــدون ، المتوفى سنة 1232 ومولده سنة 1174 فيعد بهذا من القرن 12 كذلك

وابو عبد الله محمد الطالب ابن حمدون ابـــن الحاج المتوفى سنة 1273

واخوه ابو عبد الله محمد ابن حمدون الفقيـه المحدث المتوفى سنة 1274

وابو عبد الله محمد المهدى ابن الشيخ حمدون المتوفى سنة 1290 وكان يعاصره على بن محمد جلون المتوفى بعده بسنتين ثم ابنه محمد المتوفى سنة 1298

وفى الشرق كان سعدون باشا ابن منصور بن راشد السعدون المتوفى سنة 1330 فهو معدود فى القرن الرابع عشر الحالى ، وفيه من المغاربة كثيرون يحملون هذه الصيغة ، ادركنا منهم وما زال بعضهم على قيد الحياة :

ابن رحمون	ابن شقرون	حمدون
برهـــون	كحلون	زرهـــون
ابن ريسون	زمطرون	صيـــدون
دعنون	عطمون	

وهؤلاء جميعا من تطوان ، وفيها كثير مـــــن عائلاتها بهذه الصيغة لم ندركهم او لم نعرفهم، والغالب ان برهون ليس من هذا الباب وهو عندنا بفتح البـــاء بينما هو فى الشرق بضمها ، وقد عرف من علمائـــه الحسن بن ابراهيم بن برهون ، ونص ابـــــن حلكان على ضم بائه .

وقد لاحظنا اننا ذكرنا ، احيانا الاسم ، ثم من انتسب اليه بالابنية ، لان المراد رواج الصيغة فـــى الاحقاب المختلفة

كما اننا ذكرنا ابن سمعون الطبيب اليهودي ، وربما كان الاسم محرفا عن «شمعون» العبري ، وهذا لا يعنينا بقدر ما يعنى كون فعلون عرفت فى الـــشرق والغرب ، منذ فجر الاسلام الى يومنا هذا ، وليس ذلك من خلقة الاسبانية ولا زيادة الواو للتكبير عربيا عن العربية العرباء ، على ندرة ما ورد فيها ، حتى عد المتحلى بها شبيها بالاعجمى ، كما تقدم سوى هـــؤلاء فقد عرف الشرق والغرب حيون كثيرا، وعرفت الاندلس دحون ، كما عرفت وعرف المغرب دقون وفكون ، لكننا لم نات بذلك كله لما التزمناه ، والا لـــكانت عـــشرات الاشخاص تاتى فى هذا الباب ، مما زيدت الواووالنون فيه ، كما عرف الاندلس آخرين بهذه الزيادة وهم فى اسمائهم والقابهم على حروف تزيد على ما فى الصيغة السابقة .

الصفحة

2 ـ ذكرى سيبويه 73

العربية قبل سيبويه وبعده 75

الاستاذ ابراهيم العريض

سيبويه والمدرسة الاندلسية 79

الاستاذ علال الفاسى

كتاب سيبويه فى المغرب والاندلس 86

الاستاذ محمد حجى

أثر سيبويه فى النحو العبرى 81

الدكتور حسن ظاظا

العربية قبل سيبويه وبعده *

للاستاذ ابراهيم العريض

اسمحوا لي أن اقرر — في مستهل كلمتي هذه — بكل تواضع ،ما هو عندي في حكم البداهة بالنسبة الى اللغة العربية ، قبل أن أتبسط في الموضوع شرحا وتعليقا :

اولا — ان اللغة العربية التي ظلت تتدارسها الشعوب الاسلامية — قراءة وكتابة — تنقها في الدين وتفكها في الادب ، منذ القرن الثاني للهجرة ، انما هي لغة حضارية مشذبة مهذبة أخذت بها هذه الشعوب الداخلة في الاسلام «من غير العرب طبعا» عن طريق الكتابة والدرس ، وهي تختلف في معاناتها النفسية وملابساتها الاجتماعية ودلالاتها القومية عن لغة البادية التي كان العرب في أوطانهم — بمختلف لهجاتهم — يتحاورون بها على سليقتهم ، ولا زالوا ينعلون ذلك تلقائيا الى اليوم في أنحاء عالمنا العربي . وهي التي حاول النحاة — من غير طائل — تلمس شواهدها في الشعر الجاهلي، واختلفوا في امرها في شعر الفرزدق في صدر الاسلام ، ثم تنكروا لها كليا فيما رأوا من آثارها في شعر المتنبي في القرن الرابع الهجري . فأساؤوا بذلك — الى اللغة والى أنفسهم — لولا العلامة ابن جني الذي تدارك الموضوع ، وكان « عالما » بمعنى الكلمة فوضع لهم حدا .

ثانيا — ان قواعد هذه اللغة التي يتدارسها الطلاب في مدارسهم كما وضعها — ولا اقول استنبطها — النحاة ، لتيسير درس اللغة حسب منطق ارسطو ، هي أبعد ما تكون عن الاحاطة بالشواهد الشعرية والآيات القرآنية التي نحوا يختلف منها في كثير من الاحيان مما وقع معه اصحاب المدارس النحوية في تناقض مع أنفسهم ، ومع معه القول :

تندر بهؤلاء · اضعف من حجة نحوي !

ان غرضي من طرح الموضوع على هذا الشكل هو أن الفت نظركم الى ضرورة اعادة النظر من جديد في هيكل وبناء هذه اللغة الكريمة شكلا وموضوعا ، على غرار ماتم عند سوانا من نقص في مثل هذه الدراسات حول لغاتهم منذ استهل هذا القرن ، وهاقد أشرف الان على نهايته — لان نظل نجتر كالببغاء ماقاله القائلون مناقبل مئات السنين دون وضعه على المحك . فاللغة عند العلماء المعاصرين هؤلاء ، بخلاف ما يريده لها نحاتنا القدماء ، دائبة في التطور غير جامدة ، وما ذلك الا لان المعول في هذه الدراسات اللغوية الحديثة التي يتبنونها هو على اللغة الحية التي يتحاور بها الناس تلقائيا في شتى أمورهم ، لا تلك التي تستبطنها الكتب محنطة كالمومياء . فما يستخلص للغة من قواعد لايجوز بحال أن تكون كبولا يمنعها التنفس والحياة ، كما ظل الحال عندنا الى أمس القريب ، بالنسبة الى الفصحى ، ولا أن تكون قاصرة عن احوالها الدارجة .

والآن نتبسط في الموضوع

اذا عدنا بالذاكرة الى الوراء ابان الفتوحات الاسلامية الاولى الفينا كثيرا من الشعوب والامم تنضوي تحت لواء الاسلام وتسعى جاهدة لتعلم احكام هذا الدين الجديد وتلاوة آيات محكم كتابه العزيز وهو القرآن الكريم، لذا كان لابد لهم من تعلم اللغة العربية .

---

* من الكلمات التي القيت في مهرجان سيبويه بشيراز 1974 .

وهـذا سبب ديـنى . . يضاف اليـه سبب اجتماعى يتجـلى فى الرغبة الـعارمة لدى تلك الشعوب والامم فى السعى نحو التفاهم فى شؤون حياتها اليومية مع السادة الجدد .

ومن الطبيعى أن كـل متعلم للغة لابـد وان يخطىء فى ادائها . . وهذا ما يسمى « باللحن »

واللحن انواع : لحن صوتى فى طريقة نـطق الحروف والكلمات ، ولحن اسلوبى فى طريقة نظام الجملة وحركات اواخر الكلمات فيها .

وهناك لحن آخر نشأ على يـد الذين قرأوا القرآن ولم يكن فى أول امره منقطا ولا مشكـلا . . ولهذا وقـع البعض فى اخطـاء فاحشة فقد قرئت الآية « ان الله برىء مـن المشركين ورسوله » بكسر اللام فى رسوله . . وهذا خطأ شنيع . . وكان الصواب أن تفتح اللام على العطف أو ترفع على الابتداء . . فقام أبو الاسود الدؤلى بمهمة التنقيط والتشكيل ، وكان التشكيل عبارة عن نقطة بـين يدى الحرف أو فوق الحرف أو تحته بلـون مغاير لون الحروف المكتوبة وما استحدث لها من نقاط تمييزا لبعضها عن بعض .

ثم جاء الخليل بن احمد وقام بمهمة التشكيل بالطريقة المألوفة حاليا .

وهكذا قضى على نوع من انـواع اللحن . . وبقيت الاخطاء الصوتية واللغوية والاسلوبية .ومن الملاحظ ان هذه الاخطاء كانت معظمها من الشعوب والامم غير العربية ، لان العرب كانوا ينطقـون لغتهم بالسليقة ؛ كمهارة من المهارات البشرية . . ينشأ عليها ناشىء الفتـيان منهم ، كما هو الحال عند سائر الشعوب فى تواجدها الى اليوم .

وليس معنى هذا أن العرب كانوا لا يخطئون — على مستوى الافراد — احيانا ، لقد كانـوا مثـل غيرهم يخطئون . . الا انها اخطاء قليلـة لا تنقص من شأن قائلها ، هذا اذا اخطأ فى لـغة قبيلته . . لكن لغة قبيلته لا تعد خاطئة اذا قيست الى لغة القبائل الاخرى . . فهذه ليست أخطاء ، انما هى لغة العرب ، تنوعت فى صور ادائها ونحو اسلوبهـا .

وهذا يختلف اختلافا كليا عن تلك الاخطـاء التى وقعت فيها تلك الامم والشعوب غير العربية .

ان الفرق بين ما يسميه النحاة فى كتبهم لحنا ينكرونه فى منطوق العرب) « اخطاء » وبين تلـك التى تجرى على لسان غير العربى هو أن الاولى يمكن تاويلها من خـلال ادراكنا لاسرار اللـغة العربية وتنـوع لهجاتها وصـور ادائها ومناحى اسلوبها ، كما سوف اعرض عليكم من شواهدها بعد ، أما الثانية فلا تبرير لها من خلال واقعنـا اللغوى الذى هو الاساس والفيصل فى المقـارنة والحكـم .

وكان لابد من جمع شواهد اللغـة العربية لوضـع القواعد الضابطة لهـا . . فقام الرواة واللـغويون بعمليـة الجمع ، تـارة على أساس الواقـع اللغوى كما نجـده فى كثير من مسائـل التصريف ، وطورا على أساس احتمالاته كمـا نجده فى الافتراضات النحوية التى لا أساس لها من الواقع ، وشواهد كل ذلك موجودة فى كتاب سيبويه ، ونادرا على أساس الاستيعاب كما فعل الخليل فى كتاب « العيـن » ، حيث استخـرج الكلمات كلها مـن اصلها الثلاثى ثم اسقط المهمل منهـا .

واحس العلمـاء بالفرق بين بعـض اساليب اللغة المنطوقة وبين كونها مكتوبة ، فبعض الرموز اللغوية قاصـرة عن مستوى الاداء الصـوتى ، ولان الكتابة العربية فى أحسن احوالها ليست الا اختزاليـة ولا يمكن أن تعطى صـورة معبرة عن منطوق الناس ، كما نجده بدقة أكثر عند سوانا . ففى اللغة السنسكريتـية مثلا لنطق الالف بكـل امالاتها أكثر من ثمانيـة أشكال معبرة ، بينمـا لا يتعدى الالف عندنـا شكله الواحـد رغم كثـرة الامالات ، كما هـو واضح فى بعـض القراءات القرآنية أو لهجات القبائل . وهذا ادى بدوره الى نشأة كثير من المباحث الصوتيـة ، نجد بعضهـا واردا فى كتاب سيبويه ، مما ادى عند بعضهم الى اشكالات كثيـرة .

وكان لابد من تيسير اللغة للاعاجم رغم كل هذه الاشكالات . فتعمد سيبويه الى استنباط قواعد نحوه وصرفه على أساس الاغلبية دون أن يحددها (وقد أنكرت عليه ذلك مدرسة الكوفة) ، وطالب بالقياس عليها ، واعتبر كل اسلوب عربى خـارج عليها شاذا أو لغية يجب اسقاطها من اللغة العربية كتابا وحديثا . وكأنـما كان يريد أن يضع قواعـد

تعليمية ميسرة قد تصلح لغير العرب ، كما نفعل نحن حين ندرس قواعد لغة اجنبية فلا تنتهج منها غالبا — بادىء ذى بدء — الا كل ما هو خاضع للقياس، او هكذا تفعل الامهات مع أطفالهن الصغار . ولكن هذا ليس بوارد عند ما يشب الطفل عن الطوق ، فيلغط فى لغته مثل ذويه ويحسنها احسانهم فيها يتقلب فيه من ظروف حياته الخاصة . وهنا يكمن فى نظر الكوفيين خطأ سيبويه حين اراد ان يخضع لغة العرب المنطوقة ويلوى عنقها وفق قواعده ذات الهدف التعليمى .

فالكسائى احد المتخرجين من مدرسة الخليل — مثل سيبويه — واحد القراء السبعة المشهورين لم يعجبه هذا التجنى على اللغة . فقد نظر فوجد بعض الآيات القرآنية لا تخضع لاقيسة النحاة ومنطقهم المتشدد ، وكان يتسلح بوازع دينى متين أبى عليه ان يعتبر تلك الاساليب شاذة ولا يجوز القياس عليها ، بل اعتبرها صحيحة كصحة الاساليب القياسية التى ارتضاها النحاة .

وقد مضى على نهجه الكوفيون من بعده حرصا على سلامة اللغة .

وتحضرنى هنا المسألة الزنبورية التى اختلف عليها العالمان ، فى قولهم : كنت اظن الزنبور اشد لسعة من النحلة فاذا هو هى او فاذا هو اياها . فقد قال سيبويه بالقول الاول ، واجاز الكسائى القول الثانى ، ومضى على خلافهما النحاة الى اليوم . وهذه العبارة لا تقوم لذاتها فانما هى عينة لامثالها ، وما اجاز الوجهين — كما اعتقد — الكسائى الا لان العرب تقول بهما معا .. والى اليوم .. ولكن فى ظرفين مختلفين . وبيان ذلك عندى انك اذا كنت تنقل هذه التجربة نقلا غيبيا عن سواك فما لك معدى عن القول « فاذا هو هى »، اما اذا كنت تتحدث عن التجربة وقد عاينتها بنفسك فعندها لا يصح الا أن تقول « فاذا هو اياها » دلالة على معاناتك الحاضرة لها .

ان ما اعتبره سيبويه ومن اتبعه من مدرسة البصرة أمثلة شاذة أو لغات أو لغيات لا يقاس عليها يمكننا ان نستشف منها ابعادا معنوية وذوقية خفيت على الاعاجم ومن استعجم من العرب . ومما اكثر هذه الشواهد الشاذة عندهم .

فقد عد سيبويه لغة « اكلونى البراغيث » منها ، وقال بعدم القياس عليها لانها تخالف القاعدة المطردة . ولو كان القول شاذا غريبا لانقرض منذ زمن طويل ، مع ان من الملاحظ انه مستعمل الى حد كبير فى كل مكان من الوطن العربى . وهذا يعنى ببساطة انه أسلوب عربى خالص فيه سر لم يهتد اليه النحاة الاولون .

ففى قولنا « اكلتنى البراغيث » — كما ترى — ينصب الاهتمام على البراغيث الفاعلة ، ويكون تمام القول « فانقض عليها ترحنى » . اما فى قولنا « اكلونى البراغيث » فانما ينصب الاهتمام على حدث الاكل ذاته دون البراغيث ، ويكون تمام القول هنا « فانتفنى منها » . فهذا الاسلوب الثانى أشبه ما يكون بالبناء للمجهول على غرار قولهم فى الانكليزية :

I have been Pestered by mosquittoes.

وله شواهد من القرآن قوله تعالى : فاسروا النجوى الذين ظلموا .

ومن الحديث قول النبى صلى الله عليه وسلم : يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار .

ومن الشعر قول ليلى العفيفة (زوجة البراق):

غللونى ، تيدونى ، ضربوا
ملمس العفة منى بالعصا

ولم يسىء ، الى لغة الضاد شىء مثل «نظرية العامل» ، التى جاء بها نحاتنا لتعليل الامور . وكان باب التنازع وباب الاختصاص وباب الاشتغال مهزلة المهازل لدى تطبيقها على لغة الناس . ووصل الحال ببعضهم الى تلمس الاخطاء — بمقتضاها — حتى فى شعر المتنبى ، وذلك بعد قرنين من وضع قواعدهم ، فى مثل قوله :

انا الذى نظر الاعمى الى ادبى
واسمعت كلماتى من به صمم

وقوله :

وانى لمن قوم ... كان نفوسنا
بها انف أن تسكن اللحم والعظما

وقوله :

لولا مفارقة الاحباب ما وجدت
لها المنايا الى ارواحنا سبلا

وفاتهم أن يدركوا أنه كان فى الاول يجيب على السؤال « من أنت ؟ » . . لا على السؤال « من الذى نظر الاعمى الى أدبه ؟ » ، وفى الثانى كان يعتبر الحكم ساريا عليه كسريانه على قومه ، لا ساريا عليهم وحدهم دونه ، وفى الثالث لم يكن تخطئتهم له الا لمجرد تطبيق ما وضعوا من نظرية فى الضمير العائد الذى لا يتقدم على اسمه ، وان خالفهم الواقع لا فى لغة العرب وحدهم بل فى جميع لغات الناس .

وخلاصة القول ان بين اللغات الانسانية نوعا من وشائج القربى وصلات النسب ، وعلى المهتم بلغة الضاد أن يسلح نفسه بثقافة اجنبية مستفيده حتما فى نظرته الى لغته القومية وتفهم أسرارها .

وان هذه القواعد التى وضعها سيبويه لم يقصد بها أن يجنب الاعراب الخطأ فى لغتهم وانما كان الغرض منها أن يجنب الاعاجم اللحن ، وفى سبيل تيسيرها وقع فى تناقض كثير ، لانه اراد أن يقومها بالمنطق .

وان قواعد اللغة — عند وضعها — لا يمكن أن تكون غاية فى حد ذاتها ، ولو انصف النحاة لاعتبروها وسيلة لفهم أسرار اللغة ، حتى فى كل ما جاء على وجهين من باب الجواز ، كما فى قول أم عقيل وهى ترقص طفلها :

انت تكون ماجد نبيل اذا تهب شمال بليل

لا مجرد الاكتفاء بالقول « ان (تكون) هنا زائدة » فهى قد خصته بالصفتين فى حاضره وفى مستقبله خلفا لابيه .

وان اللغة المنطوقة تلقائيا هى الاصل فى تفهم اللغة واستنباط قواعدها ، لانها تظل حية ابدا ، كما توصل الى تقريره العلماء المحدثون فى دراساتهم اللغوية .

واخيرا انا اومن باختلاف اللغات عند العرب، واعتبرها كلها حجة ، كما ارى ان ما جرى على نسق كلام العرب فهو من كلام العرب . . قياسا او شذوذا . . ولا يجوز أن يتحكم المنطق الذى مجاله الفلسفة فى اللغة التى ميدانها الحياة .

والسلام عليكم
البحرين ، 1974/7/24 .

ابراهيم العريض

سيبويه والمدرسة الاندلسية المغربية فى النحو

للمرحوم الاستاذ : علال الفاسي

تحتفل شيراز ومعها العالم العربي والاسلامي بذكرى رجل عظيم كان له الدور الخطير فى خدمة لغة القرآن ورواياته ، وفى تقعيد قواعد النحو وفنونه ، الا وهو امام البصريين وحجة النحويين ابو محمد ابن عثمان المعروف بسيبويه والمولود باحدى قرى شيراز المسماة بالبيضاء ، فارسى الاصل ، بصري المقام ، عربى الثقافة ، وقد كان سيبويه درس الفقه والحديث والتفسير فى أول حياته الدراسية ، ثم لما رأى اللحن يفشو فى الناس آلمه ذلك فانصرف الى طلب النحو وجد فى درسه وتعلمه على ائمة عصره وفى مقدمتهم الخليل بن احمد وابو الخطاب الاخفش، وما زال يطلب هذا العلم حتى اصبح فيه اماما .

واذا كان محققو المؤرخين للعلوم وتقسيمها اتفقوا على ان أول من وضع النحو هو الامام على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، ثم تلميذه ومريده ابو الاسود الدؤلى الذي اخذ عنه الاصول ووضع هو من المناهج والقواعد الشيء الكثير ، فان عالمين من اعلام العربية يعتبران الواضعين للعلم نفسه .

وهما على بن حمزة الملقب بالكسائى الذى نشأ بالكوفة ، واصبح احد ائمة القراء وصاحب قراءة خاصة به ، فهو من القراء السبعة الذين تولى القرآن بحروفهم وهو مؤسس المذهب الكوفى فى النحو ، وكان هو ومحمد بن الحسن صاحب ابى حنيفة حظيين عند المهدي ثم الرشيد من بعده .

والثانى هو سيبويه العظيم صاحب « الكتاب» الشهير المعروف باسمه فى النحو ومؤسس المذهب البصري الذي طبق الآفاق .

وبهذين الرجلين تكونت مدرستان عظيمتان فى النحو جرى بينهما تنافس كبير وخلاف عظيم فى طرق البحث ومناهج الاستدلال ، ومن المعروف ان سياسة الدولة العباسية كانت قائمة على تفضيل اهل الكوفة وتقديمهم على اهل البصرة لان هوى هؤلاء كان امويا بينما كان هوى الاولين عباسيا .

وكانت المحافظة شعار البصرة ، لذلك كانوا يقفون عند طلب الشواهد الكثيرة ، لا يكفيهم الواحد والاثنان منها ، فاذا اجتمع لديهم منها ما يطمئنون اليه اسسوا عليه قواعدهم واعتبروا ما عداه شاذا ، بينما كان الكوفيون يكتفون بالسماع الصحيح ، ويستدلون بالحديث المروى عن الرسول (صلعم) وعندهم الشاذ قليل .

وامتاز علماء الكوفة بانهم اول من اشتغل بقواعد الصرف ، ومن اول علمائهم فى هذا الشان معاذ الهراء وابو جعفر الرؤاسى المتوفى عام 190 هـ استاذ الكسائى ينسب اليه كتاب الفيصل الذي يقال انه اول ما الف فى النحو على الطريقة الكوفية .

اما المغاربة وفى مقدمتهم الاندلسيون فقد عرفوا نحو الكوفة قبل ان يعرفوا نحو البصرة ووصل اليهم كتاب الكسائى قبل ان يصل كتاب سيبويه ، ويذكر صاحب البغية ان جودي بن عثمان الطليطلي انتقل الى المشرق فاجتمع بالكسائى والفراء ، وكان اول من ادخل كتاب الكسائى الى الاندلس ، والف كتابا فى النحو ، ومات سنة ثمان وتسعين ومائة ، وكان مولى لآل يزيد بن طلحة العبسيين ، وقام الفضل مفرج ابن مالك بشرح كتاب الكسائى ومات بعد المائتين .

اما كتاب سيبويه فاقدم من حفظه من المغاربة القرويين ابو عبد الله الملقب بالنمجة واسمه حمدون ابن اسماعيل ومات بعد المائتين .

ومع الميل الذي كان للمغاربة عموما للمذهب الكوفى ، فقد وقع منهم اقبال كبير على دراسة كتاب سيبويه والعناية به ، تاييدا ونقدا ، وقبولا وردا ، ولعل الاسباب التى كانت تدعو المغاربة على الخصوص الميل لكل ما هو كوفى ، وحبهم لآل البيت ، العباسيين اولا ، ثم العلويين بعد ان ثار هؤلاء على العباسيين، يدل على ذلك ان المغرب فى أول امره كان يميل الى فقه ابى حنيفة ، حتى تأثروا بدعوة الحسين صاحب فخ ، وتاييد مالك لدعوة محمد النفس الزكية حين قام

بالدعوة للخلافة العلوية ، فانحاز للمذهب المالكي الذي يزيد على ما سبق بميزته بالعناية بالحديث وكون امامه عالم المدينة ، اما فيما يرجع للنحو فقد حافظ على ميله للمذهب الكوفي ، لان الكوفة امتهد بها النحو منذ تاسيس علي بن ابي طالب كرم الله وجهه له ، ناهيك ان ابا حيان الذي لم يكن يدرس كتاب النحو الا في كتاب التسهيل او في كتاب سيبويه (1) . وهو بربري الاصل من نفزة ، وكان شديد المحبة لعلي بن ابي طالب ، وانتقل من المذهب الشافعي الى مذهب الظاهرية ، وكان يقول محال ان يرجع عن المذهب الظاهري من ذاقه ، والمذهب الظاهري ينكر القياس في الفقه فاحرى به ان ينكره في النحو .

واذا كان الكسائي قرا كتاب سيبويه على الاخفش سرا ، ومات الفراء وكتاب سيبويه تحت وسادته ، مع انهما كانا يخالفان مذهب سيبويه حتى في القاب الاعراب وتسمية الحروف ، فلا غرابة ان نرى المغاربة ايضا من الاوائل الذين عرفوا كتاب الاخفش ومؤلف الكسائي ثم كتاب سيبويه الى امثال ابن مالك وابن آجروم الفاسي صاحب المقدمة المشهورة ، يعتنون اعتناء كبيرا بكتاب سيبويه بينما يحافظون على مذهب الكوفة ثم يحاولون خلق مدرسة اندلسية مغربية ذات اضافات لما ذهب اليه البصريون والكوفيون وما اختلف معهما فيه البغداديون .

فابن آجروم محمد بن داوود الصنهاجي صاحب المقدمة المشهورة بالاجرومية ، امام النحو واستاذه في عصره ، والذي وقع الاقبال على دراسة مقدمته الصغيرة هذه حتى كانت اول ما يدرس في المعاهد الدينية في المشرق والمغرب قبل النهضة الجديدة .

كان ابن آجروم هذا من الذين يدرسون كتاب سيبويه وهو مع ذلك كوفي متمسك بمذهبه ، فقد عبر بالخفض كما يعبر الكوفيون لا بالجر ، وقال الامر مجزوم وهو ظاهر في انه معرب وذكر كيفما في الجوازم والجزم بها راي الكوفيين وانكرها البصريون ، وكان مولده عام اثنين وسبعين وستمائة ووفاته سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ، ودفن داخل باب الجديد بمدينة فاس .

استمر المغاربة في اختياراتهم الكوفية مع اتصالهم بالمذهب البصري وبدراسة كتاب سيبويه ومناقشة الآراء جميعها حتى تاتى لهم ما يمكن ان يسمى مذهبا رابعا اذا اعتبرنا الاختيارات البغدادية مذهبا ثالثا . وانك لواجد في كتب النحو اضافات احدثها علماء الاندلس والمغرب مثل اسماء ابن خروف المتوفى سنة 609 هو وابن عصفور والشلوبين وابن الضائع المتوفى سنة 680 وان كان الاستاذ سعيد الافغاني لا يرى في هذه الاضافات ما يميزها عن غيرها من التخريجات المختلفة المعروضة في القضية الواحدة، او بعبارة اخرى ليس لآراء الاندلسيين هؤلاء سمات مدرسة خاصة (2) .

ويناقش بعد ذلك فيما قاله ابو حيان في شرح التسهيل من ان ابن خروف وابن مالك شرعا الاستشهاد في النحو بالحديث ، مع ان ذلك كان معروفا عند جماعة في القديم والحديث مستدلا لذلك ، يقول السهيلي : « لا نعلم احدا من علماء العربية خالف في هذه المسالة (الاستدلال بالحديث في النحو) الا ما ابداه الشيخ ابو حيان في شرح التسهيل ، وابو الحسن الصائغ في شرح الجمل وتابعهما على ذلك جلال السيوطي» (3)

والواقع ان الذين يتحدثون عن المدرسة الاندلسية المغربية لا يرمون الى ادعاء وجودها في هذه الفترة ، اي قبل ابن حزم وانتشار المذهب الظاهري في الاندلس والمغرب ، فقد سبق ان بينا ان هذه الفترة الاولى كانت فترة الميل الى المذهب الكوفي وتفضيله على المذهب البصري ، ولا شك ان الكوفيين كانوا يقدمون العمل بالحديث على القياس على عكس البصريين ، ومن الملاحظ في عمل سيبويه انه لا يستدل بالحديث ولا يدلي به كحجة لتفسير اية مفردة لغوية او تطبيق قاعدة نحوية ، وان كانت مادة الكتاب مليئة بآيات الكتاب الكريم الى جانب الامثال والجمل التي تتداولها الناس ، وليس معنى هذا انه لا يوجد من البصريين من يستدل بالحديث ، فالمدرستان الكوفية والبصرية التقتا عند كثير من النحويين في عدة مسائل ، ولولا ذلك لما صح ان يقال او يظن ان هنالك طريقة ثالثة هي طريقة البغداديين مثلا .

فالثورة الظاهرية على المذهب المالكي في الفقه

---

(1) البغية ص 121 — (2) سعيد الافغاني مقال هل في النحو مذهب اندلسي . معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ص 78 ع 8·7 (3) دراسات في العربية وتاريخها للشيخ محمد الخضر بن الحسين ، ص 168 ط. دمشق .

زمن ابن حزم ، ولا سيما زمن الموحدين ، صاحبتها فيما يظهر ثورة ظاهرية على المدارس النحوية ، لا اقول المشرقية كما يقول الاستاذ شوقي ضيف في مقدمة نشره لكتاب ابن مضاء في الرد على النحويين ، ولكن على جميع الذين جنحوا الى القياس والى التعليلات وما يضمه النحو من الحشويات التي سبق ان قال عنها الخليل احمد حسبما نقله الجاحظ فكتابه الحيوان (لا يصل أحد من علم النحو الى ما يحتاج اليه حتى يتعلم ما لا يحتاج اليه) (1) .

وقد درس ابن مضاء كما سيأتي كتاب سيبويه وشرح السيرفي عليه ، ولكن الدكتور شوقي ضيف يلاظ بحق ان ابن مضاء لم يعن بالنحو الكوفي ، ويعلل ذلك بانه لم يحاول التوفيق بين مذاهب النحويين وانما كان حريصا على مهاجمة النحو جملة ، وقد اختار المذهب البصري (الذي كان شائعا من حوله) ولا يزال شائعا الى عصرنا الحاضر ، فاتخذه مسرحا لمعاركه مع النحاة .

ولم يصب شوقي ضيف في هذا التعليل ، لان النحو البصري لم يكن شائعا في المغرب ولا يزال الى اليوم ، بل العكس هو الصحيح اذ ان النحو الكوفي هو الشائع، والمغاربة كوفيون من جهة المدرسة النحوية .

ولعل ابن مضاء وجد في النحو البصري ما يكون اهلا لان يقاوم بينما النحو الكوفي يعنى بالسماع اكثر مما يعنى بالقياس كما سبق ان بينا ، فالمدرسة الجديدة للنحو في الاندلس والمغرب قامت في مهد كوفي وضدا على النحو البصري الذي كان المغاربة يعنون بدراسة كتبه الكبرى ولا سيما سيبويه وان لم يقولوا بالكثير من آرائه .

لقد اشار ابن حزم في كتابه التقريب لحد المنطق الى ان علم النحو (يرجع الى مقدمات محفوظة عن العرب الذين يريد معرفة تفهمهم للمعاني بلغتهم، واما العلل فيه ففاسدة جدا) ..

ومفهوم ما يرمي اليه ابن حزم باظهاره فساد العلل النحوية ، لانه اذا فسدت العلل لم يبق مجال للقياس ، وهو ما يريد ابن حزم ان يطبق فيه مذهبه الفقهي بعدم القول بالقياس على النحو ، ولم يستطع السيد سعيد الافغاني ان يتصور نحوا لا قياس فيه ، كما لم يستطع الفقهاء ان يتصوروا فقها لا قياس فيه، مع ان وجهة نظر الظاهرية واضحة لمن اراد ، لان عدم القول بالقياس يبقى ما لم يجيء فيه نص على فطرته اللغوية اي سليقته العربية ، كما ان ما لم يرد فيه نص يبقى على اساس اباحته الشرعية ، فالمذهب الظاهري في النحو توسعة في اللغة تمكن المجتمع من اعتماد السليقة في ابتكار ما لم يقل لا في القياس على ما قيل .

واذن فقد ظل الميل المغربي لمذهب الكوفة في النحو قائما حتى بدت نظرية ابن حزم اولا ثم جاءت الثورة الموحدية فانصرف نظاروها النظر في ما يجب تغييره من علم الكلام . وذهب آخرون منهم الى نقض الفقه المالكي ، وطائفة ثالثة يتزعمها ابن مضاء اتجهت الى محاولة تفجير الراي الذي عبر عنه ابن حزم تفجيرا ينبع بنحو ظاهري مستقر ، وقد لا يكون ابن مضاء نجح كل النجاح ولكنه على كل حال فتح باب العمل على تعديل النحو بكيفية ايجابية او فتح باب الاجتهاد في النحو للتقدم به الى الامام .

ومن العبث ان يقال ان هذه المحاولات لا شيء، لان ابن مضاء لم يوفق في بعض ادعاءاته ، فالنظرية لا تخرج كاملة من اول مرة ، ولذلك نجد ابن مضاء الموحدي الظاهري ينصح النحاة ولا سيما البصريين ان يغيروا منهجهم في دراسة النحو .

ويعترف ابن مضاء لمؤسسي النحو الاولين انهم وضعوا صناعته لحفظ كلام العرب من اللحن وصيانته عن التغيير ، فبلغوا من ذلك الغاية التي املوا وانتهوا الى المطلب الذي ابتغوا ، الا انهم التزموا ما لا يلزمهم ، وتجاوزوا فيها القدر الكافي فيما ارادوه منها : فتوعرت مسالكها ووهنت مبادئها، وانحطت عن رتبة الاقناع حججها ، حتى قال شاعر فيها .

ترنو بطرف ساحر فاتر اضعف من حجة نحوي

على انها اذا اخذت الملخذ المبرا من الفضول المجرد عن المحاكاة والتخييل كانت من اوضح العلوم برهانا وارجح المعارف عند الامتحان ميزانا ، ولم تشتمل الا على يقين او ما قاربه من الظنون ، (2)

---

(1) مقدمة ابن مضاء لشوقي ضيف

(2) الرد على النحويين لابن مضاء . ص 80 ط شوقي ضيف .

وخلاصة النقد الذي وجهه ابن مضاء للنحويين هو انه اعتبر ان في النحو ما يمكن الاستغناء عنه فيجب حذفه ، وذلك ينحصر في مسائل :

1) العوامل ، اي ادعاؤهم ان النصب والخفض والجزم لا يكون الا بعامل لفظي ، وان الرفع منها يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي ، وعبروا عن ذلك بعبارة توهم في قولنا : ضرب زيد عمروا ، ان الرفع الذي في زيد والنصب الذي في عمرو انما احدثه ضرب ومعنى كلام ابن مضاء هذا ان البصريين يجعلون الفاعل مرفوعا بالفعل والخبر مرفوعا بالمبتدا بينما يجعلون المبتدا مرفوعا بالابتداء ، وقد قال سيبويه في صدر كتابه ((وانما ذكرت ثمانية مجاري لا فرق بين ما يدخله ضرب من هذه الاربعة لما يحدثه فيه العامل، وليس شيء منها الا وهو يزول عنه ، وبين ما يبني عليه الحرب بناء لا يزول عنه بغير شيء احدث ذلك فيه ((فظاهر هذا ان العامل احدث الاعراب وذلك يبين الفساد ، وقد صرح بفساد ذلك ابو الفتح بن جني وغيره ، وهكذا اخذ ابن مضاء يناقش سيبويه والبصريين في ادعائهم العوامل ويقول بابطالها .

2) اعترض على العوامل والتقديرات المحذوفة وقال : ان المحذوف في صناعتهم على ثلاثة اقسام : محذوف لا يتم الكلام الا به ، حذف لعلم المخاطب به ، كقولك لمن رايته يعطي الناس اعط زيدا ، والثاني محذوف لا حاجة بالقول اليه ، وهو تام دونه ، وان ظهر كان عيبا كقولك : ازيدا ضربته . واما القسم الثالث فهو مضمر اذا اظهر تغير الكلام عن ما كان عليه قبل اظهاره كقولنا : يا عبد الله اي ادعو عبد الله فاذا اظهر فعل ادعو تغير المعنى وصار النداء خبرا .

وقد انتقد ابن مضاء هذه التقديرات واعتبرها تمحلا لا حاجة اليه ، وقال ان اجماع النحويين على القول بالعوامل لا يعتبر حجة وينشد :

يقول من تقرع اسماعه كم ترك الاول للآخر

3) اعترض ابن مضاء على متعلقات المجرورات وعلى تقدير الضمائر المستقرة في المشتقات واعترض كذلك على ادعاء تقرر الضمائر المستترة في الافعال .

4) انتقاد تنازع العامل عن المعمول الذي عبر عنه سيبويه ((بباب الفاعلين والمفعولين الذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل ما يفعل به الآخر وما كان نحو ذلك .

5) باب اشتغال العامل عن المعمول ، اي اشتغال الفعل عن المفعول لضميره مثل قولنا زيدا ضربته .

6) الدعوة الى الغاء العامل الثواني والثوالث

7) الدعوة الى الغاء القياس

8) الدعوة الى الغاء التمارين غير العملية

9) يطالب ابن مضاء باسقاط الاختلاف في ما لا يفيد نطقا من النحو ، كاختلافهم في علة رفع الفاعل ونصب المفعول .

ان محاولة ابن مضاء تسهيل النحو واسقاط الحشويات من تعليمه جزء من ثورة جريئة قام بها الموحدون وارادوا ان تكون شاملة في جميع الميادين ، ولكنه كما رجع المغاربة بعد انتهاء العهد الموحدي الى ما الفوه من المذهب المالكي في الفقه عادوا الى اختيار المذهب الكوفي في النحو مع اقتباسات من مذهب البصريين والبغداديين . وقد ظل ابن آجروم وابن مالك امامين للمغاربة لم يؤثر فيهما الا هذه المؤلفات العصرية الجديدة التي لم تترك للنحو العربي قيمته لما فيها من الاختصار وعدم الدقة في تفهم الالفاظ والمعاني.

وهكذا نجد المدرسة الاندلسية المغربية معتنية بالنقل ، اولا باختيارها المذهب الكوفي ، وثانيها بمحاولتها جعل النحو على شكل المذهب الظاهري في الفقه ، وبالعناية مع هذا وذاك بدراسة المذهب البصري وكتاب سيبويه على الخصوص ، وليس من الانصاف ان لا يعترف للمغرب بما بذله من جهد في سبيل ابراز النظريات النحوية المختلفة ومحاولته الافادة منها وابتكار الجديد من غيرها .

عناية المغاربة بدراسة سيبويه :

وبعد ، فان ما ذكرناه من اختيارات مغربية ومن مدرسة اندلسية مغربية للنحو داخل في باب العناية بدراسة سيبويه ومناقشته والاخذ منه والرد عليه ، ومع كل ذلك فقد عنى المغاربة دائما بدراسة كتاب سيبويه وحفظه وشرحه والتعليق عليه ، ونذكر من الذين اعتنوا بالكتاب هذه الجماعة التي تمثل غيرها وتعبر عن قيمتهم العلمية .

1) فمنهم عبد الله بن الجد الفهري ابو القاسم المتوفى سنة خمس عشرة وخمسمائة ، شرح سيبويه وكان من ائمة الفقه والحديث والتفنن في المعارف .

2) ابو حيان الذي سبق ان نوهنا بعنايته بصاحب الكتاب ، وهو وان رحل الى المشرق واستقر فيه فهو بربري من شيعة البربر الذين ثاروا لمذهبهم منطلقين من قبيلة نفزة التي ينتمي اليها ابو حيان ، وقد كان نحوينا العظيم ومفسرنا الكبير من اصدقاء ابن تيمية المصلح المشهور ، ولكن حدث ان سأل

بعضهم ابا حيان عن سيبويه امام ابن تيمية فقال هذا الاخير : وهل سيبويه شيء ؟ لقد اخطا سيبويه في ثلاثين موضعا ، فاعرض ابو حيان عنه ورماه في كتابه النهر بكل سوء • وقد شرح الكتاب والف الملخص من شرح سيبويه للصفار ، كما الف التجريد لاحكام سيبويه • (1)

3) ومنهم احمد بن محمد بن محمد بن علي الاصبحي الشيخ شهاب الدين ابو العباس العناني ، نقل السيوطي عن ابن حبيب انه قال عنه انه حاز افنان الفنون الادبية وملك زمام العربية ، وانتقل الى الشام وتفقه للشافعي ، شرح كتاب سيبويه وكتاب التسهيل لابن مالك ، وكان قد اخذ عن ابي حيان ، ومات في تاسع عشر المحرم سنة ست وسبعين وسبعمائة •

4) ابو بكر الجذامي المالقي : قرا النحو على الشلوبين ، صنف شرح سيبويه كما شرح ايضاح الفارسي ولمع بن جني ، توفي يوم السبت ثاني رمضان سنة سبع وخمسين وستمائة •

5) محمد بن احمد بن هشام بن ابراهيم بن خلف اللخمي اللغوي النحوي السبتي ، نسب له التجيبي في رحلته المدخل الى تقويم اللسان وتعليم البيان ، قال ابن الابار له كتاب الفصول و المجمل في شرح ابيات الجمل ونكت على شرح ابيات سيبويه للاعلم ولحن العامة وشرح الفصيح وشرح مقصورة بن دريد ، كان حيا سنة 557 •

6) محمد بن حجاج الحضرمي ابو عبد الله وابو بكر الوزير المعروف بابن مطرف قرا النحو على الشلوبين وكان يحفظ كتاب سيبويه وله تقييد على جمل الزجاجي ، قال تقي الدين الفاسي انه جاور بمكة وكان من الصالحين ، ومات ليلة الخميس ست رمضان سنة ست وسبعمائة •

7) محمد بن علي بن محمد بن ابراهيم الانصاري المالقي المعروف بالشلوبين الصغير ، اخذ العربية والقراءات عن عبد الله بن ابي صالح ولازم ابن عصفور ، قال السيوطي في البغية انه شرح ابيات سيبويه شرحا مفيدا واكمل شرح شيخه ابن عصفور على الجزولية ، مات في حدود سنة ستين وستمائة عن نحو اربعين سنة •

8) محمد بن علي بن يحيى قاضي الجماعة المعروف بالشريف شهرة لانسبا كذا قال السيوطي في البغية ، قال ابو حيان في النضار كان بمراكش في زمن ابن ابي الربيع يدرس كتاب سيبويه والفقه والحديث ويميل الى الاجتهاد ، قرا عليه اجلهم ابو عبد الله الصنهاجي وابو اسحاق العطار شارح الجزولية• مات بمراكش عام اثنين وثمانين وستمائة •

9) محمد بن علي السلاوي النحوي : قال في البدر السافر ، كانت له شهرة بمراكش وكان يقرا كتاب سيبويه ومن احفظ الناس لكتاب الكامل ، مات سنة خمس وستمائة • (2)

10) عبد الله بن محمد بن عيسى « كان يختم كتاب سيبويه في كل خمسة عشر يوما يعني كما يتلى القرآن او كتب الحديث • (3)

11) الاعلم يوسف بن سليمان الشنتمري شرح ابيات الكتاب وشرحه مطبوع في ذيل كتاب سيبويه من طبعة بولاق •

12) ابن الطراوة سليمان بن محمد المالقي (528) تلميذ الشنتمري ، قرا عليه كتاب سيبويه ، الف المقدمات على الكتاب ، كما ان له اعتراضات على الكتاب •

13) علي بن محمد الكتامي الاشبيلي (680) كتب ردا على اعتراضات ابن الطراوة على كتاب سيبويه •

14) ابو حفص عمر بن عبد الله السلمي الاغماتي ، ولد باغمات وانتقل للسكنى بمدينة فاس، اخذ عن ابي بكر بن طاهر كتاب سيبويه ، وكان من الشعراء المجيدين ، مات سنة 604 وهو قاضي باشبيلية وكان قبل ذلك قاضيا بفاس •

15) ومن كبار الشخصيات الذين عنوا بشرح سيبويه وقراءته ابو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي ، ولد بسبتة وتوفي بفاس سنة 657 وهو صاحب الرحلة المشهورة المسماة (ملء العيبة بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين الى مكة وطيبة) وله شرح على كتاب سيبويه •

---

(1) السيوطي ، بغية الوعاة ص 121 •
(2) بغية الوعاة ص 84 •
(3) مراتب النحويين ص 65

كرسي سيبويه والنحو في جامعة القرويين :

من المعروف في حوالات الاوقاف المغربية ان هنالك وقفا على كرسي لقراءة كتاب سيبويه يعين له كبار العلماء ويحضره الذين يريدون التخصص في النحو ومعرفة الاسلوب البصري ومنهج سيبويه ، وقد ذكروا في ترجمة المكودي شارح الالفية وهو ابو زيد عبد الرحمن بن على بن صالح المكودي الفاسي انه كان يدرس كتاب سيبويه في مدرسة العطارين ، وانه آخر من درسه بفاس ، وعلية فقد كان قبله مواظبون على تدريسه ، وقد لا يكون التدريس للكتاب استمر بصفة غير منقطعة ولكن الذي لا شك فيه ان تدريسه وقع بفاس بعد المكودي ومن الذين درسوا سيبويه ابو حفص الفاسي .

ويظهر ان الفية ابن مالك والتسهيل وتوضيح ابن هشام وغيرها من الكتب الشهيرة في النحو كان لها الحظ الاوفر بعد هذا العصر في دراسة النحو في جامع القرويين والمدارس المضافة اليها ، واذا عرفنا ان الاسلوب المتبع سابقا في دراسة العلوم في القرويين يرجع اختيار الاستاذ والكتاب فيها الى الطلبة انفسهم، واذا كنا نعلم ان المدارس التي يسكنها الطلبة وتحيط بالقرويين كانت فيها قاعات فيها كراسي متخصصة لدراسة العلوم التي من بينها علم النحو في القرويين والمدارس المحيطة بها ، تيقنا انهم درسوا سيبويه الى جانب ما درسوه من كتب النحو المشهورة .

وقد عدد الاخ الاستاذ عبد الهادي التازي في كتابه جامع القرويين المجلد الثاني منه عدد الكراسي التي كانت مخصصة للنحو والفقه معا والبعض منها الذي كان مخصصا للنحو فقط ، واقدم هذه الكراسي العلمية هو الكرسي الذي كان بمدرسة الحلفاويين التي سميت بعد مدرسة الصفارين وكان يقرا فيه الفقه والنحو ، ومن مشاهير الاساتذة الذين درسوا فيه الشيخ سيدي احمد السراج ، ومثل ذلك يقال عن مدرسة الخصة التي كانت معدة للفقه والنحو ، وقد كان من جملة اساتذتها الذين درسوا النحو بها قاضي الجماعة عبد الواحد الحميدي الذي تولى تدريس المغني كما درس بها كتاب سيبويه والسيرفي وابن مالك وابن آجروم والمكودي ، وكان كرسي المدرسة المتوكلية خاصا بالنحو تعاقب عليه جملة من العلماء ، وفي مدرسة الصهريج كان هنالك كرسي للفقه والنحو ، وكذلك كرسي مدرسة العطارين للفقه والنحو ، فقد سبق ان قلنا ان مدرسة العطارين كانت تحتوي على كرسي للنحو الذي درس فيه كتاب سيبويه الى بداية القرن التاسع وهنالك كرسي آخر بمدرسة فاس الجديدة للفقه والنحو ايضا . ومثله بمدرسة الوادي للفقه والنحو ، وكان بمسجد الرصيف كرسي خاص بالنحو ، وبمسجد الشرابليين كذلك كرسي خاص بالنحو (1) .

وقد وضع جزء من كتاب سيبويه ضمن برنامج الاجازة التي نظمها الفرنسيون لتخريج حملة الشهادة العربية الاصيلة من الفرنسيين الذين كانوا يعدونهم للترجمة في المستعمرات والبلاد المحمية ، وقد رايت واحدا من هؤلاء الذين كانوا يعدون لامتحان هذه الشهادة ياخذ من ابن عمنا سيدي عبد السلام الفاسي دروسا بالمشافهة والمراسلة في الجزء المقرر من كتاب سيبويه ، واعتقد ان حملة هذه الشهادة من المغاربة درسوا ذلك الجزء من الكتاب .

وقد اهتم الاخ عبد القادر زمامة من خريجي القرويين بكتابة فصل في مجلة (دعوة الحق) العدد السابع السنة الخامسة ص 43 يدعو فيه الى اعادة الاهتمام بكتاب سيبويه ودراسته ، وهكذا فان مقام سيبويه وكتابه عظيم في المغرب لم يمنع المغاربة من العناية به ميلهم لنحو الكوفة ولا محاولة اقامة مدرسة مغربية ، الامر الذي يدل على انهم ادركوا مقامه وقدروه قدره وهو بالعناية جدير .

رواية المغاربة لكتاب سيبويه وسندهم في ذلك

اعتاد المغاربة اقتداء باخوانهم في الشرق ان ياخذوا كل العلوم بطريق الرواية والاسناد ، ويعتبرون الرواية ولو بطريق الاجازة هي التي تنقل العلم من الاستاذ الى التلميذ ، فكما يسندون القرآن الى ائمة القراءات وعمن اخذوها وحفظوها ، ويسندون الحديث الى روايته ، كذلك يسندون الكتب الى مؤلفيها والعلوم الى مؤسسيها عن طريق ائمتها ، ومن ثم نجد المغاربة معنيين برواية النحو واسناده الى مؤسسه

---

(1) انظر تفاصيل هذه الكراسي واوقافها في الفصل الذي كتبه السيد عبد الهادي التازي في كتابه عن القرويين تحت عنوان (المدينة ذات المائة والاربعين كرسي) ص 379 ، ج 2 .

الاول علي بن ابى طالب ، ورواية اهم مدونات وفى مقدمتها كتاب سيبويه ، وقد سبق ان قلنا ان الرواية عن سيبويه كلها تمر عن طريق الاخفش ، يستوي فى ذلك المسندون من المشارقة او من المغاربة .

وسنجتزيء هنا بسندنا فى النحو الى الامام على ابن ابى طالب عن طريق الاخفش وسيبويه فنكون بذلك قد ذكرنا السند الموصل بالاجازة لكتاب سيبويه والمرفوع الى المؤسس الاول للنحو ابى الحسنين كرم الله وجهه ، فنقول روينا النحو ايجازة وقراءة من استاذنا العلامة المرحوم سيدي احمد العمراني وشيخنا ابى حفص عمر الحرسى المدنى التونسي الاصل المتوفى بالمدينة المنورة وذلك حين قدومه الى مدينة فاس ، عن شيخهما ابى الحسن على بن طاهر الوتري ، عن عبد القادر بن احمد بن ابى جيدة الكوهن الفاسى عن الشيخ المحقق الطيب بن كيران وابى العلاء العراقى الحسينى وابن عبد الله الزروالى فالاولان عن والد الثانى زين العابدين العراقى والاخير عن الاول وعن ابى محمد بن عبد القادر بن شقرون وهما عن ابى حفص الفاسى وابى السعد عبد المجيد الحسنى المنالى الشهير بالزيادي زاد ابو العلاء بالاخذ عن الشيخ التاودي ابن سودة والثلاثة عن العلامة الحافظ النحوي سيدي محمد الجندوز المصمودي وابى العباس سيدي احمد الوجاري القضاعى وهما عن الشيخ المسناوي والعلامة سيدي محمد بن زكري والعلامة سيدي عبد السلام بن الطيب القادري الحسني وهم عن الشيخ سيدي محمد بن عبد القادر الفاسى وابى الفضل العربى بن الحاج ، وهما عن والد الاول بسنده الى ابن حجر عن ابى الفرج العربى عن يونس العسقلانى عن محمد بن الفضل المرسى ، عن زين بن حسن الجندوز عن عبد الله الخياط ، عن المبارك الدباس ، عن عبد الواحد بن برهان ، عن ابى القاسم الدفيفى ، عن ابى الحسن الرمانى عن ابى سعيد السيرفى عن ابى بكر محمد بن السراج وعن طريق سيدي احمد بن العربى بن الحاج عن الشيخ ابى سالم العياشى اجازة عن الشيخ شهاب الدين احمد بن محمد الخفاجى عن العلقمى ، عن السيوطى ، عن ابن مقبل عن الصلاح ، عن ابى عمر ، عن الفخر البخاري ، عن ابى حفص ابن طبرزه ، عن ابى بكر الانصاري ، عن ابن محمد الجوهري ، عن ابى على الفارسى ، عن ابى بكر السراج المتوفى سنة 276 ببغداد عن الجرمى والمازنى ، عن ابى الحسن الاخفش عن سيبويه وهو ابو عمر بن عثمان بن قنبر البصري المتوفى سنة 180 عن الخليل بن احمد الفراهيدي المتوفى سنة 170 عن ابى عبد الله بن ابى اسحاق وعيسى ابنى يعمر وابى عمر بن العلاء ، وهم عن عنبسة الفيل وميمون الاقرن ويحيى بن يعمر وعطاء وابى حرب ابنى ابى الاسود الدؤلى رضى الله عنه ، عن سيدنا ومولانا على بن ابى طالب كرم الله وجهه . قال الكوهن فى فهرسته بعد ذكر السند السابق وهو اي سيدنا على واضعه كما اخرجه الزجاجى فى اماليه والبيهقى فى شعب الايمان وابو الفرج فى الاغانى من طرق متعددة ، وهذا بعض مظهر قوله (صلعم) « انا مدينة العلم وعلى بابها » اخرجه الترميذي والحاكم عن سيدنا على كرم الله وجهه ، واخرجه الحاكم ايضا والطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما .

ومن هذا رفمقدار العناية التي كانت للمغاربة بنحو البصريين والدؤلى منهم ، وان كانوا اميل الى نحو الكوفة مقر على ابن ابى طالب كرم الله وجهه المؤسس الاول للنحو وان كانوا قد وضعوا فى احدى مراحل تاريخهم مدرسة اندلسية مغربية تختلف فى الكثير عن مدرسة البصرة . ولا شك ان التذكير بدور المغرب فى هذا الفن وعنايته برجاله الكبار فى المشرق والمغرب واعطائهم لسيبويه نفس الاعتبار الذي يعطونه للكسائى يبين مقدار الوحدة الثقافية التى كانت تربط العالم الاسلامي ، وتجعل من الكسائى والاخفش وسيبويه وغيرهم من رجال العجم ، والجزولى وابا حيان وابن آجروم وغيرهم من ابناء البربر المغاربة ، ائمة علم العربية وابطال الوضع لقواعدها وارساء مبانيها الى جانب الاجلاء لاسرارها ومعانيها ، اليس فى هذا ما يجعل حضارة الاسلام وثقافته مشتركة بين شعوبه وتراثا قوميا لكل المسلمين الذين وحد القرآن بينهم وجعل اللسان العربى مظهرا من مظاهر توحيد الامة المحمدية الخالدة .

علال الفاسى

كتاب سيبويه في المغرب والاندلس *

الاستاذ : محمد حجي

تمهيد تاريخي :

يتصل كتاب سيبويه بالدراسات اللغوية والنحوية في المغرب والاندلس اتصالا وثيقا عبر العصور ، ويرجع احتكاك هذه البلاد باللغة العربية الى عهد الفاتحين المسلمين في القرن الهجري الاول . وكانت عجمة لسان سكان هذه المناطق مدعاة الى اقبالهم على تعلم لغة القرآن منذ ان اخذ الاسلام ينتشر بينهم ، والعرب يقيمون بين ظهرانيهم . وقد بدأ تعلم اللغة العربية في المغرب الاسلامي بطريق المحاكاة والتعبير الشفوي البسيط ، وحفظ آيات وسور من القرآن الكريم لاداء الشعائر الدينية ، قبل ان يميل الى استكناه أسرار اللغة والتعرف على قواعدها ، حينما رسخت قدم الاسلام في هذه البلاد ، واصبحت جزءا لا يتجزأ من الدولة الاسلامية الكبرى . لاسيما عندما اخذت تنتشر الحركة الفكرية ، الدينية واللغوية ، القائمة في المشرق آنذاك ، وتتردد اصداؤها في ارجاء المغرب والاندلس .

كان من الطبيعي ان يحدث مثل هذا في الجناح الشرقي من الامبراطورية الاسلامية ، غير ان قيام مدينتي البصرة والكوفة في العراق . واقبال علمائهما من عرب وفرس على جمع اللغة العربية وفلسفتها بتقعيد القواعد واستنباط الاحكام والضوابط ، اسرع الخطى بتلك الاقطار في ميدان العلوم اللسانية ، وخولها قصب السبق في هذا المضمار ، حتى انجبت من الاعلام امثال الخليل بن احمد ، ويونس بن حبيب وسيبويه الذين اصبحوا ائمة العربية في كل زمان ومكان .

لقد دخل النحو الى المغرب والاندلس مع تلاميذ هؤلاء الائمة الذين هاجروا من المشرق فحطوا رحالهم بالقيروان وفاس وقرطبة ، واملوا على المتعلمين في هذه البلاد ما حوته صدورهم وتراطيسهم من علم غزير . ولئن عرفت الاوضاع السياسية بهذا الجناح الغربي من العالم الاسلامي تقلبات كثيرة خلال القرون الهجرية الاولى ، فان الحركة الثقافية ، ومن ضمنها العلوم اللسانية ، لم تنثن عن طريقها او تقف عند الحدود المصطنعة التي كانت تنتصب حاجزا هنا وهناك ، تتقدم تارة وتتراجع اخرى . فتابع العلماء نشاطهم الفكري في هذه البلاد ، سواء في العهد الذي كانت فيه سلطة خلفاء دمشق او بغداد تصل الى المحيط الاطلنطي وجبال البرانس ، او عندما انفصلت المنطقة عن انظارهم بزعامة الامويين في الاندلس ، والادارسة في المغرب ، والاغالبة ثم الفاطميين بافريقية .

وابتداء من القرن الهجري الرابع ، دخل الغرب الاسلامي مرحلة النضج والتفتح الفكري ، حيث اخذت مساجد قرطبة بصفة خاصة ، تعج بأعلام العلماء ، ومكتباتها تزخر بمختلف المؤلفات اللغوية والنحوية والادبية ، ايام عبد الرحمن الناصر ، وابنه الحكم المستنصر . وتأكدت شخصية هذه المنطقة في القرون التالية مع المرابطين والموحدين الذين تمكنوا طوال قرنين ونيف من اقامة امبراطورية انتظمت في سلكها اقطار شمال افريقيا والاندلس ، فكان العلماء ينتقلون في ارجائها الفسيحة ، يملون ويؤلفون ، وينالون من ضروب الاكرام والتشجيع الوانا . وفي هذه الفترة بالذات نالت الدراسات اللغوية والنحوية والادبية اوفى نصيب ، وراج كتاب سيبويه اعظم رواج .

ثم كانت زوابع ومحن في الغرب الاسلامي خلال القرن الهجري السابع كادت تعصف بثقافته ، لولا جهود المرينيين الضخمة فيما بعد ، والمتمثلة

---

* من محاضرة القيت بالمؤتمر العالمي الذي اقامته جامعة بهلوي بشيراز لتكريم امام النحاة سيبويه بمناسبة مرور اثني عشر قرنا على وفاته ، من 27 ابريل الى 2 ماي 1974

فى حشد المساجد والمدارس الفخمة وتشجيع المعلمين والمتعلمين فى كل جهات المغرب ، وفى تقديم العون المادى والمعنوى لملكة غرناطة ، فكان لذلك الاثر المحمود فى احياء ذماء العلم بالمدونتين، واعطى الدراسات اللغوية والنحوية فيهما ، وبخاصة كتاب سيبويه نفسا جديدا .

ولما حم القضاء ، وحلت النكبة الكبرى بالمسلمين فى الاندلس فى نهاية القرن التاسع آوت النعدوة الجنوبية مختلف المقومات الحضارية مع آخر المهاجرين الاندلسيين ، واصبحت مدينة فاس دار مقام لعدد عديد من الاسر النبيلة ، وفى مقدمتها اسرة ابى عبد الله النصرى آخر ملوك بنى الاحمر ، وعمر اندلسيون آخرون مدن تطوان والرباط والقصبة ، واستوطن غيرهم حتى قمم الجبال وحدور الاودية ، وبلغوا بساتط سوس الاقصى .

وبذلك امتزجت الحضارة الاندلسية بالحضارة المغربية امتزاجا نهائيا ، ولم تنطفىء ذبالة تلك الثقافة الاصيلة ، ومعها الدراسات النحوية وكتاب سيبويه ، لم تنطفىء فى المغرب الى ايام الناس هذه .

الدراسات النحوية فى المدونتين :

بدات الدراسات النحوية بالمشرق ، كما هو معلوم ، فى زمن مبكر ايام الخلفاء الراشدين ، وتوالت بعد ذلك الى ان ظهر فى البصرة الخليل ابن احمد الفراهيدى فى منتصف القرن الهجرى الثانى (فوضع الاسس ونهج الطريق ، تاركا امر تدوين القوانين النحوية الى تلميذه ابى عمرو بن عثمان سيبويه واضع « الكتاب » المشهور . وقد يكون هذا الكتاب من بين الاسباب التى ادت الى احتدام الخصام بين المدينتين المتنافستين : البصرة والكوفة ، ذلك الخصام الذى انجلى عن قيام مدرستين نحويتين ، احداهما ، وهى مدرسة البصرة ، تسندها الاصالة والمنطق ، اذ وضعت قوانين عامة حسب مقاييس معقولة واهملت الشواذ وما خالف الاستعمال المشهور عند جمهور العرب ، فحصرت بذلك اللغة العربية فى قوالب محكمة وصيغ مضبوطة يسهل — نسبيا — ادراكها والاحاطة بها . والثانية ، وهى مدرسة الكوفة ، ساندها البلاط العباسى وشد ازرها لاغراض لا علاقة لها بموضوع اللغة وقواعدها . هذه المدرسة الثانية ولو انها استطيفت فى البداية بصبغة علمية محضة ، فانها تحولت الى ما يشبه مسجد الضرار ، خارمة القوانين اعتمادا على سماعات شاذة او منحولة ، وشعبت الى حد كبير سبل تحصيل النحو ، او افسدته على حد تعبير السيوطى .

ثم تدارس علماء بغداد بعد ذلك آراء المدرستين المتنافستين ، فوازنوا واستظهروا ، وخطاوا ورجحوا . ونتج عن ذلك ظهور مدرسة بغدادية جديدة ، هى مزيج من مذهبى البصريين والكوفيين .

وقد تلقى الغرب الاسلامى قواعد اللغة العربية بمذاهبها الشرقية الثلاثة ، عن طريق النحاة المهاجرين ، ومعظمهم جاءوا من بغداد ، فاخذوا من كتاب سيبويه اساسا للتعليم ، لانهم بدورهم اخذوه عن شيوخ بصريين او مشايعين لمذهبهم . ولانتشار المدرسة البصرية فى المغرب والاندلس ، وسيادتها فى العهود الاولى على ما عداها من المدارس النحوية اسباب يمكن اجمالها فيما يلى :

اولا — ان المذهب البصرى اكثر اصالة ومنطقية ، واقل تشعبا وتمحلا .

ثانيا — وجود كتاب سيبويه بين ايدى الناس ، لا يزاحمه كتاب آخر للفراسى او الكسائى او غيرهما من الكوفيين . والكل يعلم ان هؤلاء لم يؤلفوا ما يمكن ان يضاهى او يقارب كتاب سيبويه وانما هى رسائل وكراريس لا تذكر امام الكتاب .

ثالثا — مناصرة العباسيين لعلماء الكوفة ، وايثارهم اياهم بتعليم ولاة العهد وابناء كبار رجال البلاط ، جعل الناس فى الغرب ينفرون من هذا المذهب بعد ان خاصموا خلافة بغداد وخلعوا طاعتها .

على ان ذلك لم يصرف علماء المغرب والاندلس نهائيا عن النظر فى مسائل الخلاف ، فتعرفوا عن آراء مختلف الفرق ، ونظروا بخاصة فى القضايا التى اخذت على البصريين فاثبتوا منها وابطلوا ، وانتقدوا بدورهم بعض آراء البصريين ، ومسائل من كتاب سيبويه نفسه ، وخرجوا هم ايضا بمدرسة نحوية جديدة ، هى المدرسة المغربية الاندلسية التى تحدث عنها ابن خلدون فى غير ما موضع من المقدمة .

وفيما يتعلق بالاقبال على دراسة اللغة العربية وقواعدها فى الغرب الاسلامى ، نلاحظ وجود نفس الظاهرة الشرقية المتجلية فى وفرة العناصر الاعجمية الاصل من بين الدارسين . فكما كان سيبويه ودرستويه الفارسيتان مثلا من أعلام النحو العربى فى الشرق ، كان الجزولى وابن آجروم من برابرة السوس الاقصى من ائمة هذا الفن فى الغرب . وظلت كتبهم جميعا تقرأ وتشرح على تعاقب الحقب والاجيال . غير ان من المفارقات التى لا ينبغى اغفالها فى هذا الباب ، أنه اذا كانت العناصر الغير العربية فى الشرق ، وبخاصة الفارسية قد اخذت تعود الى لغتها الاصلية منذ زمن غير بعيد عن عصر سيبويه ، فان السوسيين فى المغرب ظلوا يتعلمون لغة القرآن ويعلمونها ويؤلفون فيها مآت الكتب الى اليوم . وقد نشر المرحوم المختار السوسى منذ بضع سنوات تراجم علماء هذا الاقليم المغربى وآثارهم الضخمة فى اللغة العربية وغيرها ، فى كتابين هامين : **سوس العالمة** ، **والمعسول** ، ويقع هذا الاخير فى عشرين مجلدا .

مركز كتاب سيبويه :

لعل أصدق تعبير عن المكانة المكينة لكتاب سيبويه فى نفوس المغاربة والاندلسيين انه ظل معتمدهم الاساسى فى الدراسات العليا لم يستبدلوه بغيره طوال القرون . ولا ينهم من وجود كتب دراسية نحوية فى هذه المنطقة أنها حلت محل **الكتاب** ، وانما هى مقدمات وأراجيز وضعت للمبتدين والقاصرين عن ادراك مسائل **الكتاب** وذلك **كمقدمتى** الجزولى وابن آجروم ، **والفيتى** ابن معطى وابن مالك وما اليها من شروح وحواش . ومع ذلك بقى **الكتاب** مجال براعة المبرزين من شيوخ النحاة وملتقى النجباء (الشادين) من الطلاب . هذا بالاضافة الى وفرة عدد حفاظ **الكتاب** والمشتغلين بالكتابة عليه شرحا وتعليقا واستدراكا . ومن نماذج حفاظ **الكتاب** المغاربة ابو عنان **العسكورى** ، موسى بن يعومين صاحب كرسى **كتاب سيبويه** فى القرويين . فقد ذكروا فى ترجمته أنه فتح بين يديه يوما **كتاب سيبويه** بالقرويين فى ثلاثة مواضع ، فقرأ فى كل موضع مقدار ثلاثة أحزاب عرضا عن ظهر قلب . وكان ذلك بتدبير من منافسيه الذين راموا اعجازه على رؤوس الملا لما كان فى طبعه من حدة وفى لسانه من سلاطة . كما يعتبر الاعلم الشنتمرى يوسف بن سليمان الاشبيلى من أبرز نماذج الاندلسيين الذين شرحوا الكتاب وعلقوا عليه . فهو قد الف كتاب **تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الادب فى علم مجازات العرب** المطبوع مع **كتاب سيبويه** فى طبعة بولاق شرح فيه شواهد **الكتاب** الشعرية التى تنيف عن الف بيت ونسبها الى اصحابها . والف ايضا كتابا جمع فيه **النكت فى كتاب سيبويه** ، ورسالة مطولة فى المسالة الزنبورية الشهيرة ، اوردها المقرى بتمامها فى نفح الطيب ، الجزء الرابع من طبعة بيروت الاخيرة .

اشهر الدارسين لكتاب سيبويه :

تكاثر عدد الدارسين **لكتاب سيبويه** فى المغرب والاندلس عبر العصور تكاثرا يجعل من العبث محاولة تعدادهم بل الاحاطة بهم ، ولو اتسع مجال القول . غير انه لن يكون دون فائدة فى ختام هذا العرض الوجيز الاشارة الى بعض الاعلام البارزين منهم تمثيلا لما سبق وتوثيقا .

نذكر فى البداية ثلاثة من النحاة المشارقة الذين دخلوا المغرب والاندلس فى القرون الاسلامية الاولى وكان لهم فضل السبق فى نشر النحو واللغة والادب وكتاب سيبويه فى هذه الديار . وهم :

أبو اليسر الشيبانى ، ابراهيم بن احمد البغدادى ، تلميذ عالمى البصرة المبرد والجاحظ ، وصاحب الشاعر فى أبى تمام والبحترى . حمل معه الى المغرب علما غزيرا ، وانصرف جل اهتمامه الى **كتاب سيبويه** ، حتى انه كتب منه نسخة فى أخريات حياته بقلم واحد ما زال يبريه حتى قصر فادخله فى قلم آخر وكتب به حتى فنى بتمام الكتاب . وكانت خاتمة مطاف ابى اليسر مدينة القيروان حيث توفى عام 298 .

وأبو على القالى ، اسماعيل بن القاسم البغدادى ، صاحب **النوادر والامالى** ، **والمقصور والممدود** ، **والبارع** ، وغيرها من كتب اللغة والنحو والادب . وقد على عبد الرحمن الناصر الاموى عام 330 وعاش بقرطبة يدرس ، فى جملة ما يدرس ويملى « **كتاب سيبويه** » ، وكان قد أخذه فى بغداد من ابن درستويه عبد الله بن جعفر الفارسى . وعرف القالى بتدقيق النظر فى **الكتاب** والانتصار للبصريين الى أن توفى عام 356 .

وصاعد البغدادى ، أبو العلاء بن الحسين -

دخل الاندلس ايام المنصور بن ابى عامر ، فاهتبل بمقدمه وأراد ان يعنى به على آثار ابى على القالى الوافد من قبل على بنى أمية . لكن قلة خبرة صاعد بكتاب سيبويه عرضته الى السخرية والاهمال ، ولم يشفع له لدى الاندلسيين ما املاه عليهم من كتاب النصوص . فقد ذكروا ان صاعدا دخل يوما على المنصور فى مجلس ضم نحاة الاندلس وادباءها فسأله عن ابى سعيد السيرافى ، فزعم صاعد انه لقيه وقرأ عليه كتاب سيبويه ، فبادره العامرى بسؤال عن مسألة من الكتاب فلم يحضره جوابها، واعتذر بان النحو ليس جل بضاعته ، فكان ذلك بداية الشؤم الذى ظل يلاحق صاعدا فى جهات الاندلس الى ان اجلاه عنها ايام الفتن الى جزيرة صقلية حيث مات مغربا حوالى عام 410 .

أما النحاة الاندلسيون والمغاربة الذين علقوا بكتاب سيبويه وبرعوا فى تدريسه والتعليق عليه ، فياتى فى طليعتهم ابنا العم الاشبيليان الزبيديان ابو محمد وابو بكر .

قرأ ابومحمد عبد الله بن محمود الزبيدى النحو بمسقط رأسه فى الاندلس ودرس كتاب سيبويه ووضع عليه شرحا من احسن ما شرح به الكتاب . ثم تاقت نفسه الى لقاء كبار النحاة بالمشرق ، فرحل الى بغداد ولازم ابا سعيد السيرافى ثم ابا على الفارسى . ولما انتقل هذا الاخير الى فارس سار معه ابو محمد الزبيدى اليها فدعاه الفرس أبا عبد الله الاندلسى . وتضايق ابو على الفارسى من هذا الالحاح فى الطلب والرغبة فى الاستفادة ، فكان يقول للزبيدى على رؤوس الملأ : (ان والله على وجه الارض أنحى منك) وادركت الوفاة أبا محمد الزبيدى ببغداد عام 372 .

أما ابو بكر الزبيدى فلم يغادر بلاد الاندلس ، وظل يدرس كتاب سيبويه فى اشبيلية الى ان دعاه الحكم المستنصر الى قرطبة ليؤدب فيها ولى عهده هشام ، وكانت له فى عاصمة الامويين مجالس نحوية عالية على غرار مجالس ابى على القالى السابقة . وألف ابو بكر الزبيدى فى جملة ما ألف استدراكا على كتاب سيبويه ، ومات وهو قاض باشبيلية عام 379 .

ونجد فى العدوة الاخرى ، أبا محمد الزقاق ، قاسم بن محمد ابن الحاج ، شيخ النحاة فى المغرب ، يدرس كتاب سيبويه فى كل من فاس وسبتة وسلا ، مكونا حلقة أولى فى سلسلة نحوية ستطول أجيالا عديدة . وكانت وفاته بمدينة سلا عام 559 .

— ومحمد بن أحمد ابن طاهر الانصارى الاشبيلى قرأ بالاندلس والمغرب ، واستوطن مدينة فاس قائما على تدريس كتاب سيبويه ، وله تعليق على الكتاب . واقسم أن يقرئه فى البصرة حيث وضعه سيبويه ، وبر ابن طاهر بقسمه فحج ودرس الكتاب بمصر والبصرة مدة ، ومرض فى طريق رجوعه ، فمات فى بجاية بالمغرب الاوسط عام 580 .

ومن أبرز تلاميذ الاماميين الزقاق وابن طاهر :

ابو الحسن بن خروف ، على بن محمد الحضرمى ، وهو اندلسى الاصل قرأ كتاب سيبويه بفاس واشبيلية ومراكش وغيرها ، ووضع عليه شرحا عجيبا سماه تنقيح الالباب فى شرح غوامض الكتاب ، وله رسائل عديدة فى مناظرة كبار نحاة عصره .

وعمر بن عبد الله السلمى الاغماتى (اغمات قريبة من مدينة مراكش) لم يصرفه منصب القضاء الذى أسند اليه فى تلمسان وفاس واشبيلية عن تدريس كتاب سيبويه فى هذه المدن كلها ، الى ان ادركته الوفاة نحاة باشبيلية وهو بها قاض عام 603 .

— وأبو القاسم بن الملجوم ، عبد الرحمن ابن عيسى الازدى . واسرة ابن الملجوم من انبل اسر فاس ، تسلسل فيها العلم والجاه والثروة نحو عشرة قرون . وكانت لهم مكتبة من اعظم المكتبات الخاصة فى المغرب الاسلامى . درس ابو القاسم على كبار نحاة عصره فى المغرب والاندلس وناظر شيخه ابن طاهر فى نحو الثلث من كتاب سيبويه . واقرأ الكتاب مدة غير قصيرة فى جامع القرويين الى أن توفى بفاس عام 604 .

— والامام الشلوبين ، عمر بن محمد ، شيخ نحاة اشبيلية قبل ان ينتزعها المسيحيون من يد المسلمين . كان يدرس بها كتاب سيبويه ، وكتب تعليقا مهما طارت شهرته شرقا وغربا .

ومن أبرز المتخرجين على يد الامام الشلوبين :

ابو محمد الانصارى ، عبد الله بن على . وانتقل بعد سقوط اشبيلية فى يد النصارى الى مدينة سبتة بالعدوة المغربية ، فاستوطنها ودرس بها كتاب سيبويه الى أن توفى عام 647 .

عاصر ابا محمد الانصارى فى سبتة نحوى آخر شهير هو :

ابو الحسن الشارى . على بن محمد الغافقى ، كان الكتاب ممتهده فى مرحلتى التعلم والتعليم ، وتوفى بعد الانصارى بعامين .

ومن ابرز الشخصيات النحوية فى القرنين الهجريين السابع والثامن :

الامام المدنى ، محمد بن يحيى النعبدرى . اشهر المتخرجين على ابن خروف والقائم مقامه فى تدريس كتاب سيبويه فى القرويين بفاس ، توفى رحمه الله شهيدا فى احدى المعارك ضد المسيحيين بجبل الفتح المعروف اليوم بجبل طارق عام 651 .

وابو حيان الجياني ، امير المؤمنين فى النحو . كان ملتزما الا يقرىء غير كتاب سيبويه ، او تسهيل ابن مالك للذين لم يتأهلوا بعد لخوض غمار الكتاب . وكان ابو حيان سلفيا معجبا بآراء ابن تيمية ، شد الرحلة اليه من الاندلس ، واقام معه مدة فى دمشق ، الى ان خطأ ابن تيمية سيبويه وكذبه فكان ذلك سبب اعراض ابى حيان عنه وذهابه مغاضبا الى القاهرة . حيث ادركته الوفاة عام 745 .

ومن اشهر السيبويهيين المغاربة فى القرون المتأخرة :

ابو زيد المكودى ، عبد الرحمن بن صالح ، امام النحاة فى عصره ، ومؤلف الشرح الشهير على الفية ابن مالك . كان صاحب كرسى كتاب سيبويه فى القرويين الى ان توفى بفاس عام 807 .

وابو عبد الله البمقيلى ، محمد بن ابراهيم ، من قرية آيت الطالب فى السوس الاقصى بجنوب المغرب ، كان يستظهر كتاب سيبويه ويدرسه لنجباء طلبة البادية عقودا عديدة من السنين . وكانت وفاته عام 976 .

وابو العباس الدلائى ، احمد الحارثى بن محمد بن ابى بكر . تخصص من بين قومه العلماء فى تدريس كتاب سيبويه بزاويتهم الدلائية فى جبل الاطلس المتوسط بالمغرب ، الى ان توفى عام 1051 .

وابو عبد الله الدرعى ، محمد بن ناصر ، عاش فى قرية تامكروت بصحراء المغرب يدرس كتاب سيبويه وتسهيل ابن مالك . الى ان لقى ربه عام 1085 .

وبعد فان كتاب سيبويه ظل محط عناية النحاة المغاربة والاندلسيين منذ حمله اليهم تلاميذ سيبويه فدرسوه وشرحوه واستدركوا عليه وانتقدوا بعض مسائله ، ودافعوا عن ينتقصه بغير حق . ومازالت كلية اللغة العربية بمراكش التابعة لجامعة القرويين حتى اليوم تضع كتاب سيبويه فى طليعة المواد التى يدرسها طلبة الدراسات العليا بها .

الرباط ـ محمد حجى

أثر سيبويه فى نشأة النحو العبرى

بقلم : الدكتور حسن ظاظا
الاستاذ بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية

من الامور التى لا تحتاج الى الاطالة فى شرحها كون اللغة خادما للفكر ، واداة لحفظه وتوصيله الى البشر ، من المتكلم الى السامع ؛ ومن راوية يحمل عمن قبله ليؤدى الامانة الى من بعده ، ومن كاتب يسجل بعض ثمار الفكر الانسانى لتواصل مسيرتها عبر الاجيال والاقطار .

واللغة ـ اية لغة كانت ـ تتعرض فى حياتها الطويلة لما يتعرض له كل كائن حى من فترة طفولة ، ثم مرحلة شباب ، يليها نضج كامل تحمل فيه مسؤولية الفكر بكل ثقلها ، وتضطر فيه غالبا الى التبادل مع غيرها اخذا وعطاء وتاثرا وتاثيرا ، ثم تلى ذلك كله شيخوخة طويلة او قصيرة بحسب الظروف التى تعترى اللغة ، فاما تنتفض من تحت انقاض الزمن لتستعيد مكانتها وحيويتها من جديد ، واما تنزوى وتستكين حتى تنطفىء من ذاكرة المتكلمين ، فيكون ذلك موتها واندثارها .

وادق مراحل اللغة هى مرحلة النضج الكامل المسؤول عن فكر علمى وادبى وفلسفى ضخم . ذلك ان الفكر الانسانى بطبيعته متطلع دائما الى التقدم نحو المجهول ، لكشفه وتوضيح كنهه . وهنا ينعقد سباق رهيب بين الفكر واللغة ، لا بد لهذه الاخيرة فيه أن تلاحق خطواته ، وأن تظل دائما على مستواه ، والا تركها ، وبعدت الشقة بينه وبينها ، فيكون من ذلك تبلبل الالسنة ، واضطراب الاساليب ، وتصدع القواعد .

وتحتاج اللغة فى هذا السباق الى صيانة علمية مستمرة ، لعل اهم ما فيها هو العناية بحصر شواهدها الفصيحة ، وتصنيف اساليبها الصحيحة ، وتسجيل قواعدها تسجيلا يجمع بين الدقة والوضوح ، والترتيب المنطقى ، والتجاوب مع المطالب العملية للمتكلمين .

وقد وجدت اللغة العربية نفسها فى مرحلة النضج الكامل هذه بعد ظهور الاسلام ، وبعد ان بدات تحمل مسؤولية حضارة كاملة لا تجتاح ما قبلها من حضارات ، ولا تحاول فى عاصفة عنيفة قاسية أن تذهب بما كان قبلها من التراث الانسانى ، بل بعكس ذلك تعمل على الاستفادة من تجارب السابقين : من فلسفة اليونان ، ونظم الرومان ، وآداب الفرس ، وحكمة الهند ، ومهارة الصين ، وخبرات مصر والشام . وبلغت هذه الحضارة الاسلامية ذروتها فى ظل الدولة العباسية ، وبدا السباق بين الفكر البشرى واللغة العربية ، وكانما هو يواجه ازمة دقيقة جدا . فقد دخلت فى الدين الجديد شعوب لعل اكثرها قد حمل من مسؤوليات الحضارة اكثر مما حملته قبائل العرب ، وبدات الالسنة تختل ، ودب اللحن والخطأ الى اللغة ، وتسرب التعقيد والركاكة الى الاساليب ؛ ولكن طبيعة التطور لم تدع الخطر يستشرى فى كيان اللغة العربية ، بل قيض الله لها من العلماء الاعلام من بذلوا كل الجهد فى خدمتها وصيانتها والدفاع عنها : من امثال سيدنا على بن ابى طالب ؛ وابى الاسود الدؤلى ، وعنبسة بن معدان الميسانى المشهور باسم عنبسة الفيل ، وابى عمرو بن العلاء ، وعبد الله بن أبى اسحق الحضرمى ، وأبى عمر عيسى ابن عمر الثقفى ؛ والخليل بن أحمد بن عمر بن تميم الفراهيدى البصرى أبى عبد الرحمن ؛ والاصمعى ابن سعيد عبد الملك بن قريب ، ويونس بن حبيب أبى عبد الرحمن ، وغيرهم .

وقد كانت آثار أولئك الاوائل من اللغويين والنحاة تتصف على الخصوص بجمع المادة العربية الفصيحة ، والنظر فيها ، وشرحها ، وتحليلها ، ومقارنة بعضها ببعض أحيانا ، والاجتهاد فى ادخالها

بحث مقدم الى مهرجان سيبويه بجامعة بهلوى بشيراز ـ 1974 .